شبكة المعلومات الحديثة وعالم المسلمين

تمهيد:

جدال عقيم

المسلمون وعالم المسلمين جزء من الأسرة البشرية وجزء من عالمنا المعاصر.. هذه حقيقة بدهية بسيطة، ولكن تبدو غائبة عن أذهان من خاض ويخوض في جدال حول قضايا لا تحتمل في الأصل جدالا ولا انتظارا، كاستخدام الشبكة العالمية، التي شاعت تسميتها الإنجليزية "إنترنت" واجتهد فريق من الحريصين على كرامة لغتنا وأصالة هويتنا فابتكروا لها تسمية "شبكة العنكبوت".. فبدأ ينتشر استخدامها وهي التسمية التي نميل إليها.

صحيح أن الجدال حول استخدام الشبكة أو عدم استخدامها فقد القوة الدافعة التي بدأ بها قبل سنوات ماضية، ولكن ما يزال أضخم ممّا ينبغي، عندما نراعي أن فريقا ممّن تراجع عن الرفض المطلق اقتناعا أو اضطرارا، ما يزال يتمسك بدعوة أخطر إلى " حظر مطلق " لاستخدام الشبكة على الأطفال والناشئة، ونحن نعلم أن هؤلاء بالذات هم الأقدر على استيعاب التقنيات الحديثة في سنّ مبكرة لتوظيفها في بناء المستقبل، فكأن الرافضين يريدون أن يقتصر استخدام الشبكة –وعلى مضض– على جيل أكبر سنا وأقل قدرة على استخدامها استخداما يواكب سرعة تطوّرها، ويمكّن من توظيفها في الوقت المناسب لتحقيق الغرض منها.. وهو موقف يتناقض مع الغاية منها، وتطبيقه وهمي إذ يتناقض من جهة أخرى وبصورة صارخة مع تطوّر استخدام الشبكة على أرض الواقع.. والذي تقول بعض التقديرات إن نسبة الشبيبة حتى الخامسة والثلاثين من العمر تزيد على ٨٥ % من المستخدمين العرب عموما [١]

الشبكة على أهميتها هي في نهاية المطاف وسيلة من الوسائل التقنية، وكل وسيلة تقنية لا تكتسب علاقتها بجنس أو قومية أو دين عبر نشأتها، ولا يمكن احتكار انتسابها وفق لحظة ولادتها.. أمّا ميادين استخدامها وتوظيفها وما يوصلان إليه من نتائج فقد تؤدّي إلى غلبة الاعتقاد بانتمائها لقوم دون آخرين.. ولكن لفترة زمنية مؤقتة فقط، أي إلى أن يأتي من يستخدمها استخداما مختلفا ويوظفها توظيفا آخر فيصل بها إلى نتائج متباينة.

ذاك شأن سائر ما ظهر أو سيظهر من المبتكرات التقنية، فجميعه ينتمي إلى جنس الإنسان، وما صنع ويصنع، وطوّر ويطوّر، جيلا بعد جيل، ودورة حضارية بعد دورة، وكل فريق يأخذ ممّن سبقه ويترك لمن يأتي بعده.. وقد تتبدّل الهوية الحضارية الغالبة ومميزاتها الرئيسية ردحا من الزمن، فتطغى على نتائج استخدام تقنياته، على حسب مدى توافقها أو تناقضها مع فطرة الإنسان، ومدى خدمتها له أو الإضرار به، ما بين قيم الخير والشر والنافع والضار والحسن والقبيح، ولكن

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

لا يغير هذا الجانب شيئا من أن تلك المنجزات التقنية أشبه بالبضاعة، فهي موروثة عن السابقين متروكة إرثا لمن يليهم.. وكل أهل حضارة يبدؤون حيث انتهى من سبقهم وليس من نقطة الصفر.

إن الشبكة العالمية التي لا ينقطع الحديث عنها منذ سنوات، إنّما هي بشيء من التبسيط أداة مبتكرة، وإنجاز من إنجازات لا ينقطع تحقيقها في مسيرة مشتركة، لا يستطيع أحد احتكار إحدى مراحلها لنفسه أو بني جلدته دون بقية البشر.. ومن المفروض بالمقابل ألاّ يفكر أحد برفض إنجازات مسيرة التقدم البشري المشتركة أو بمقاطعتها، كما لو كانت شيئا خارجا عن نطاق وجوده وملكا لسواه فقط، وإنّما يصنع ذلك الغافل عن حقيقة أنّ كل إنجاز تقني قائم، إنّما يبني على إنجازات بناء حضاري سابق، منذ آدم عليه السلام، كما أنّه سيتحوّل إلى لبنة في بناء حضاري قادم، إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

توظيف الشبكة:

لا تكمن المشكلة في السؤال " هل " نستخدم الشبكة من حيث الأساس بل تكمن في السؤال " كيف " نستخدمها، ولا جدوى من إطالة الوقوف عند كثير مما يدور الحديث عنه حول ما نشأ من أضرار خلقية واجتماعية ربطها المتحدثون عنها بالشبكة واستخداماتها.. فأي دراسة منهجية توصل إلى نتيجة ثابتة أن تلك الأضرار لم تنجم عن " قرار " استخدام الشبكة أو عدم استخدامها، وإنما نجمت عن كيفية ارتباط استخدام فريق ممن استخدمها، بمعطيات معينة من القيم أو انعدامها، ومن الضوابط أو اضمحلالها، مما نعرفه عن معالم سلبية مميزة للوعاء الحضاري المهيمن في الوقت الحاضر، وما بقي له أو ما فقده على صعيد المعايير العقدية والخلقية والاجتماعية.

إن التعامل القويم مع شبكة العنكبوت يقتضي تركيز السؤال على الأرضية الحضارية المرتبطة بالقيم والضوابط، وتنشيطها في وجدان الإنسان وواقعه، بدلا من الإغراق في ربط قرار استخدام الأدوات التقنية وفق انحراف من سبق إلى استخدامها أو عدم انحرافه.

وفي الوقت نفسه لا يصح الاقتصار في النظر إلى استخدام الشبكة العالمية على هذا المنظار –على أهميته الكبيرة– ولا يصح قطعا القول إنّ الدور الأكبر للشبكة هو ما يرتبط بالجوانب الخلقية والاجتماعية.. فمع النظرة الأولى في واقع عالمنا المعاصر نرصد حجم الارتباط الوثيق بين ميادين توظيف شبكة العنكبوت من جهة، وما ساهم به من نتائج واسعة النطاق على مختلف الأصعدة الأساسية في حياة الأمم ووجودها ونهضتها وانهيارها من جهة أخرى، وننوّه من بينها بما تشمله ثلاثة عناوين كبرى، تناولت كلا منها بحوث ودراسات مفصلة عديدة، وتعبّر كما هو معروف عن قفزات نوعية وحاسمة في مجرى التطور الحضاري البشري.. ونعني بذلك ثورة المعلومات، وثورة الاتصالات، وظاهرة العولمة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ليس مجهولا أنّ هذه التطورات الكبرى ساهمت في تغيير وجه الواقع البشري خلال أقل من عشرين عاما مضت بما يزيد على أضعاف ما تحقق من تغيير خلال ثمانية عقود سبقت من القرن الميلادي العشرين، ولا يمكن فصل مفعول أداة التقنية الشبكية عن آثار هذه التطورات الجذرية الثلاثة، ولا إنكار أن مفعولها هذا يحتل مكان الصدارة. كذلك نستطيع التأكيد دون تردّد أنّ معالم التأثير أو التأثر، والفاعلية أو الانفعال، في مختلف ميادين التقدم والقوّة وميادين القيم والمادة دون استثناء، في المستقبل المنظور وربما على المدى المتوسط، ستكون مرتبطة ارتباطا وثيقا بهذه التقنية الشبكية في القطاعات الثلاثة المذكورة، وما ينبني عليها وينبثق عنها من تطوّر أو تخلف في معظم المجالات الأخرى، بدءا بمجالات الأخلاقيات والأذواق والسلوكيات الاجتماعية، مرورا بقضايا الإنتاج والاستهلاك في مختلف الفروع الاقتصادية والمالية، وانتهاء بقضايا حاسمة في المجالات الأمنية والسياسية.

ولئن كان واضحا مدى الارتباط بين مفعول الشبكة وثورة المعلومات بمعنى الكم الضخم الذي باتت الشبكة في مقدمة وسائل الاطلاع عليه وتوظيفه وزيادته لحظة بعد لحظة.. وكان واضحا أيضا مدى الارتباط بين مفعول الشبكة وثورة الاتصال بمعنى القدرة الفائقة من جهة على جلب المعلومة من أي مكان وجدت فيه إلى موقع توظيفها خلال فترات زمنية أصبحت تقاس بأعشار الثانية وأقل من ذلك، وبمعنى الإمكانات الواسعة النطاق من جهة أخرى للتواصل والتعاون والتنسيق من وراء سائر الحواجز التقليدية والعقبات والعراقيل المختلفة.. فقد يكون من الضروري زيادة توضيح الارتباط الكبير القائم أيضا بين مفعول الشبكة وظاهرة العولمة، وبيان مدى اعتماد القوى الفاعلة في نشر العولمة المادية والفكرية، الاقتصادية والاجتماعية، الأمنية والخلقية.. إلى آخره، على شبكة العنكبوت وتطوير تقنية الاتصالات في إطارها تطويرا تجاوزت سرعته في هذه الأثناء قدرة الفرد على مجرّد متابعة أخباره في الوقت المناسب(٢).

ويكفي بهذا الصدد التنويه بمثال عن بعض ما نجم عن بعض الاستخدامات الشبكية من نتائج على أرض الواقع كالمضاربات المالية من جانب الملياردير زوروس وأقرانه في الأسواق المالية في جنوب شرق آسيا.. أو بمثال آخر ما يدور من حوار لا يبتعد كثيرا عن التخطيط لمستقبل قريب في ميادين أمنية تحت عنوان " الحرب الشبكية"(٣)

إن التقصير في استخدام الشبكة –فضلا عن دعوات مقاطعتها وحظرها– يعني القصور عن مواكبة ثورة المعلومات وثورة الاتصالات، في مرحلة ربطت بينهما وبين خطوات التقدم والتخلف المستقبلية، كما يعني أيضا التعامل مع ظاهرة العولمة تعاملا يؤدي إلى ترسيخ التسليم لعنصر الهيمنة فيها والخضوع لعواقبه، بدلا من الإسهام في توجيه مجراها وتوظيف

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الجوانب الإيجابية فيها لتثبيت مكان مقبول لأنفسنا على خارطة العالم المستقبلية.

الإسلام واستخدام الشبكة

نقدّر أعمق التقدير لأصحاب الحمية الإسلامية حميتهم.. إذ ما أحوجنا إليها في الأصل، في كثير من الميادين في زمن يشهد انتشار التيئيس والإحباط على أوسع نطاق.. ولكن لا بد من القول إنّ غالبية الداعين إلى الرفض والحظر على صعيد الشبكة، لا يخدمون الإسلام ومستقبل دعوته، بعد أن جعلنا منه في هذه القضية وسواها المشجب الذي نعلّق عليه كل ذريعة من الذرائع، لتبرير قصورنا.

لقد تحرك الدعاة أيام بزوغ شمس الإسلام في عالم يجهل الإسلام ويعادي سائر ما دعا إليه، فكانوا يتمنّون ركوب الريح لقطع المسافات البعيدة.. وصنعوا ذلك فعلا، ولو توفرت الشبكة العالمية في أيامهم لركبوها أيضا، ولطوّعوها من أجل الوصول برسالتهم إلى أقصى زاوية من زوايا الأرض، حتى لتعترينا الدهشة اليوم ونحن نذكر مع مواكبة قضايا الساعة، كيف وصل المسلمون عام ٢١ هجري، في عهد الفاروق رضي الله عنه، إلى مدينة باب الأبواب على ساحل بحر الخزر في قفقاسيا، التي تشهد على أيدي الروس ما تشهد، ولا نكاد نصل إلى أهلها المسلمين عبر شبكة العنكبوت ولا سواها !..

لم ينعزل المسلمون الذين خرجوا من البادية ومعطيات البداية يومذاك عن معطيات عالمهم وعصرهم، ولم يكبتوا أنفسهم فكرا ولا سلوكا ولا تعاملا، تحت تأثير مزاعم تقول إن هذا ما يستدعيه اختلاف العقيدة أو تتطلبه الخشية على الإسلام وأهله. إن الله عز وجل تكفل بحفظ الإسلام دون شروط.. وباستبدال قوم بقوم على حسب موقعهم من مهمة حمل هذه الأمانة، ولكنه جلّ وعلا إذ وعد المسلمين بالنصرة والتمكين وبالأمن والتقدم ربط هذا الوعد بشروط، جميعها شروط ذاتية، يجب أن نوفرها في أنفسنا، وليس فيها إطلاقا ما يرتبط بنوعية ما نواجه من أخطار خارجية أو نعايش من متغيرات تقنية وسلوكية، وبتعبير آخر:

إن لم نتحرّك لتغيير الواقع عبر التعامل معه، فذاك لقصور فينا، ناجم عن عدم تأهيل أنفسنا للتحرّك والتغيير، وهذا ما يجب أن نتجاوزه، لا أن ننتظر عن بعد فلن يتغيّر شيء من تلقاء نفسه، أمّا الإسلام فليس في موقفه وأسلوب تعامله مع مفسدات الحضارة ومصادر الضرر بالإنسان، أي مبرّر للقعود ولا المقاطعة أو الحظر(٤).

ويضعنا هذا في قضية الشبكة العالمية وتأثيرها المنتظر.. أو المرجو في المنطقة الإسلامية وموقعها عالميا، أمام أكثر من واجب في وقت واحد، ومن ذلك باختصار:

١- استيعاب ماهية الشبكة.. على المستوى التخصصي الضروري لاستخدامها كأي وسيلة من الوسائل التقنية الأخرى، وكذلك على المستوى العام أيضا، ليكون انتشار استخدامها متوازنا ليس من ناحية المضمون النوعي فقط، بل ومن حيث عدم استئثاره فئة دون أخرى،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كيلا تكون شبكة العنكبوت بالنسبة إلى فريق ميدانا من الميادين الاعتيادية في الحياة اليومية –كما ينبغي أن تكون فعلا– وبالنسبة إلى فريق آخر عالما مجهولا ومصدرا لتصوّرات وهمية ومخاوف تولّد مواقف فقدت توازنها.

٢– تثبيت خطوط عامة لقواعد مشتركة.. تنبثق عن إطار المنطلقات والتصوّرات الأوسع نطاقا في عملية البناء الحضاري، على أن يكون لتلك القواعد دور الإرشاد على حسب الاقتناع بها.. وليصبح التعامل مع هذه الوسيلة الحديثة سبيلا لجعلها أداة نوظفها ونستخدمها لأغراض حضارية تتوافق مع غاياتنا وأهدافنا الذاتية، ومع غاياتنا وأهدافنا كجزء من الأسرة البشرية، وبما يخدم جنس الإنسان.

٣– صياغة مواصفات ومعايير إسلامية.. نحتاج إليها لأننا ننطلق واقعيا من دائرة حضارية إسلامية تاريخيا، جامعة للمسلمين وسواهم وفق أرضية تعايش مشتركة، كما ننطلق من واقع عالمي قائم، لا تميّز مصالح القوى المؤثرة فيه إلا قليلا ولأغراضها الذاتية بين التيارات المتعدّدة الموجودة داخل هذه الدائرة الحضارية، وهذا رغم تناقضها فيما بينها وفقدان بعضها للهوية الذاتية وذوبانه في تبعية خارجية، ومع انتشار التساؤل عن مدى انطباق صفة "إسلامي" على ما نشرناه في الشبكة أو نريد نشره ونحن على "عتبة" استخدامها المستقبلي، ينبغي الحوار حول المواصفات والمعايير المطلوبة للتمييز بين ما يتوافق وما يتناقض من وجودنا في الشبكة واستخدامها لها، مع ما يخدم دائرتنا الحضارية الإسلامية، ويخدم مشروع النهوض الإسلامي الحضاري..

٤– استنباط آليات مناسبة للتعامل والتفاعل مع الشبكة وتطوير تلك الآليات باستمرار، فليس ابتكارها التفصيلي مطلوبا الآن، بل المطلوب هو منهج عام يساعد على وضعها وعلى تعديلها وتطويرها حسب الحاجة الآنية لها، مع ضمان تقويمها وابتكار الجديد منها على حسب الحاجة، وبحيث يستمر توافقها مع تقلّب الظروف والأحوال الزمانية والمكانية والموضوعية.

الشبكة.. ومستقبلنا الحضاري

أصبح اعتماد التقنية الشبكية على طريق ما نتطلع إليه من بناء حضاري إسلامي، لصالح بلادنا وفي إطار وجودنا كجزء من الأسرة البشرية، من الضرورات التي لا ينبغي وضعها موضع سؤال.. لا سيما ونحن نرصد كيف بلغ الاهتمام بهذه التقنية في دول العالم الحريصة على متابعة طريق التقدم شأوا كبيرا، ومن ذلك وضعها على جدول أعمال أكثر من قمة عالمية، للدول الصناعية الرئيسية، وللاتحاد الأوروبي، فضلا عن اعتماد الأمريكيين والأوروبيين واليابان ميزانيات ضخمة تبلغ مئات المليارات الإضافية لتطوير استخداماتها، ولتمويل تطوير تقنياتها في السنوات القليلة المقبلة، بل وتابعهم على هذا الطريق الروس رغم أزمتهم، والصينيون رغم تردّدهم.

منظور حضارى:

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

على ضوء ما سبق التنويه بـه أن الشـبكة إنجاز من الإنجازات على طريق مسيرة تقنية بشرية مشتركة، تتوارث المنجزات وتتابعهـا، يسري على التعامل مع توظيف الشـبكة فـي مشروع نهوض حضاري، ما يسـري علـى سواها، من تأكيد أن النهوض لا يعني قطعـا البداية بداية جديدة من الصفر، وإنّمـا يعنـي المتابعـة علـى الصـعيد التقنـي والمـادي والتصحيح علـى صـعيد القـيم والمعـايير والتصورات والأفكار والأذواق.

وليس في هذه النظرة جديد مبتدع، إنّما هي ما يوصل إليه التأمل في اللحظات التاريخيـة التي شهدت انتقال الأمانة في ريـادة البشـرية حضاريا، من قوم إلى قوم، من قبـل أن يبـدأ التأريخ استقراءً، وبعد أن بدأ رصدًا لما شهدته البشرية فعلا منذ قدماء الفراعنـة والفينيقيـين ومن سبقهم، وانتهاء بالنهضة الغربية الحديثة.. والتي لا تمثل نهاية التـاريخ ولا نهايـة دورة الحضارات قطعا (٥).

وكما أنّ المسلمين حملوا برسـالة الـوحي الإلهي قبل بضعة عشر قرنا وعاء حضـاريا جديدا من القيم والمعايير والضوابط، ووضعوا فيه ما وصل إليه السابقون في ميـادين الإدارة كالدواوين، والطب كمخلفات الإغريق، وسوى ذلك فاستوعبوه وتابعوه وطوروه وأضافوا إليه، وأعطوه في واقع عالمهم وعصـرهم وجهـا حضاريا إنسانيا جديدا ووجهة حضارية إنسانية جديدة.. كذلك فقد استلم الرايـة أو انتزعهـا الأوروبيون قبل بضعة قرون، وأخـذوا مـن الإسلام على صعيد حقوق الإنسان وتكريمـه بعض ما أتى به، وربطـوه بقـديم فلسـفاتهم الإغريقية والرومانية والدينية، فأوجدوا وعـاء حضاريا بديلا، ووضعوا فيه ما وصلت إليـه الحضارة الإسلامية في هذه الأثناء مـن تقـدم علمي وتقني ومـادي، فاسـتوعبوه وتـابعوه وطوّروه وأضافوا إليه، وأعطوه وجها جديدا، فيه ما فيه من الإيجابيات والسلبيات بـالميزان الحضاري الإنساني، وأعطوه وجهة جديـدة.. كادت توصل إلى دمار عالمي شامل في القرن الميلادي العشرين، وقد تفضـي فـي القـرن الميلادي الحادي والعشرين إلى هيمنة شـبيهة بما كان في العصر الحجري الأول، ما لم تجد دورة الحضـارات منعطفـا جديـدا يصـحح مسيرتها.

هذا مما يضـع المسـلمين أمـام واجـب حضاري إضافي علـى الواجـب الحضـاري المفروض عليهم بحكم إسـلامهم، ولكنـه لا يتمثل في هدم الموجود وتشييد البديل من العدم أو من نقطة الصفر، فذاك مسـتحيل التحقيـق واقعيا، شديد الضرر كتصوّر وتفكير، وبعيـد كل البعد عمّا هو مطلـوب إنسـانيا وواجـب إسلاميا.

إنما المطلـوب والواجـب هـو أن يجـدّد المشـروع الإسلامي الحضـاري، صـياغة الثوابت –لا اختراعها من جديـد– لوعـاء القيم والمعايير التي يحتاج جنس الإنسان إليها في كل عصر وفي كل مكان، ويحتـاج إليهـا الآن، ويجدّد صياغة السبل والآليات المناسـبة لوضع ما تم التوصل إليه من تقنيات ومنجزات بشرية في الوعـاء الحضـاري الإسـلامي،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ومتابعة الطريق استيعابا وتطويرا وإبداعًا جديدًا.

وليس هذا الواجب بسيطا.. ولا هو أقل تبعات ممّا يتصوّره بعض المغالين في الدعوة إلى الهدم قبل البناء، وتقويض ما سبق الآخرون إليه قبل اعتماد بديل عنه.. وكأنّ انهيار البنية الهيكلية المادية في الغرب اليوم، كما يتخيلون ويتوهمون – يمكن أن يبقى بعواقبه المدمّرة الوخيمة بعيدا عن بقية الأسرة البشرية.

المطلوب هو تحرك حضاري فعال مؤثر من جهة، ومتوازن منضبط من جهة أخرى، وهذا التحرك بهذه المواصفات هو المهمة الأصعب التي نحمل أمانة أدائها، لنقدم وعاء حضاريا أقوم، وأكثر تحقيقا لفائدة البشرية، يستوعب وسائل تقنية ابتكرها سوانا أثناء غفلتنا الحضارية الطويلة. وبالمقابل ما أهون – وما أسوأ أيضا– الوقوف موقف العجز أو التمني، بحجة انتظار " انهيار الآخر " أولا، والقعود عن حمل متطلبات هذه الأمانة وتوفير مقتضيات النجاح في أدائها، بحجة أن الوسائل المتوفرة يستخدمها سوانا بما يتناقض مع قيمنا، ومع ما تفرضه شريعتنا السمحاء، فكأنّ حظرها بدلا من تطهيرها سيفتح أمامنا بابا آخر لولوج مستقبل حضاري آخر، والواقع أنه يفسح المجال في غيابنا الخطير لمزيد من أسباب الهيمنة علينا حضاريا وتقنيا، عبر استمرار استخدام تلك الوسائل والأدوات نفسها دون رادع أو رد فعال، وبصورة تضاعف التناقض والتعارض مع شريعتنا وقيمنا.

ولو اختار أسلوب الغياب والانتظار والقعود معاصرو الرومان والفرس من المسلمين الأوائل، لما كان لنا نصيب في دورة الحضارات البشرية المتقلبة، والمستمرة منذ آدم عليه السلام إلى يوم الدينونة.

إنّنا لا ننطلق من تصوّر إسلامي بل نتناقض مع الإسلام وبالتالي مع منطق التطوّر الحضاري، إذا امتنعنا عن استخدام الوسائل التقنية المتوفرة.. إلى ما بعد أن تتبدّل القيم والتصوّرات المتحكّم باستخدامها، ولن تتبدّل، فالتحرّك الحضاري المطلوب إسلاميا هو إعطاؤها وعاء حضاريا آخر من القيم والتصوّرات.. عبر استخدامها، وذاك ما يعطي التحرك الحضاري مضمونا نعيشه، ويجعله رسالة نحمل أمانة أدائها.

التواصل الشبكي:

لا تطرح شبكة العنكبوت السؤال عن الفائدة أو الضرر من انفتاح عليها من الجوانب السالف ذكرها، التي أثارها جدال عقيم لا ينبغي إفساح المجال ليعرقل مسيرتنا الحضارية الإسلامية[٦].. بل تتطلب منّا طرح السؤال من المنظور الإيجابي، أي عن أرضية استخدام الشبكة العالمية في خدمة مشروعنا الحضاري.

ولهذا السؤال فروع واسعة النطاق، تتطلب دراسات تفصيلية ومتابعات دائمة تواكب ما يتم من تطوّر سريع بات يقاس أحيانا بالشهور وليس بالسنوات، بعد أن كان يقاس بالأجيال والقرون[٧].. ولكن يمكن أن نحدّد بعض المعالم الرئيسية الواجب وضعها بعين

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الاعتبار، انطلاقا من الميزات الخاصة بالشبكة كأداة تقنية، والتي لم تتوفر قبلها في أداة أخرى، أو لم تتوفر على نحو مشابه بحجمه وأبعاده لما وفرته الشبكة الآن. وبإيجاز شديد:

شبكة العنكبوت تحرّر إمكانات التواصل دون حدود، وتحرر الفكر من مختلف القيود المادية، وتحرر التقنية نفسها من الاحتكار الذي ميّز الحضارة الغربية وكان في مقدمة مساوئها.

وترتبط هذه الميزات الرئيسية الثلاث بنشأة الشبكة نفسها، وبغض النظر عن الأغراض الأولى التي جعلت هذه النشأة وجعلت تطور تقنية الشبكة لاحقا تتخذ هذا الاتجاه، وتتمرّد بذلك واقعيا على أوّل من ابتكر تلك التقنية في الولايات المتحدة الأمريكية.

ويستدعي ذلك التوقف هنيهة عند نبذة حول " سيرة حياة الشبكة ".. أو ما يعرف أيضا باسم " شبكة الشبكات "، ممّا يشير إلى ماهيتها، فهي ليست شيئا ما موجودا في مكان واحد ولا تمثل شبكة واحدة.. ولهذا فلا يتحكم فيها مركز ما، بل أدّى تحررها من قيود المكان إلى تحررها تحررا كبيرا من قيود صانع القرار. ويمكن إيجاز مراحل نشأة الشبكة في النقاط التالية[٨]:

١- جهود وكالة " آربا " الأمريكية التي تأسست عام ١٩٥٧ م لاستدراك التخلف عن السوفييت في الملاحة الكونية، وأنجزت ابتكار وصل منشآت الحاسوب وتبادل المعلومات بينها لأول مرة في أول إيلول / سبتمبر عام ١٩٦٩ م

٢- الجهود التالية لوكالة " داربا " التي حملت مهمة تأمين الشبكة العسكرية لاتصالات الحاسوب من الانهيار نتيجة ضربة تصيب المركز.. فكان ابتكار ما سمّي " الطرد الإلكتروني ".. فلم تعد الجهة التي تتحكم في نقل المعلومات هي المرسل والمستقبل، ولا ساعي البريد أو المحطات البريدية على الطريق، بل أصبح للمعلومات نفسها دور رئيسي في "صناعة القرار" المتحكم بمجرى مسيرتها من المرسل.. الذي يملك حق تحديد جهة الاستقبال، والمستقبل.. الذي يملك أن يكون له عنوان يستقبل أو لا يكون، أي أن يصبح له رقم مميز لا يحمله سواه

٣- النقلة التقنية النوعية المحررة في ثورة الاتصالات هي أن المعلومات نفسها أصبحت توضع في ذلك "الطرد الإلكتروني"، فهو يحمل من المواصفات والتجهيزات ما يؤهّله لاختيار طريق تحرّكه عبر الأسلاك وعبر الفضاء إلى جهة الاستقبال، فإذا وجد مثلا أنّ " منعطفا " على الطريق قد تلف، أو أن عقدة من عقد طرق الاتصال قد أغلقت، تحوّل الطرد نفسه للبحث عن بديل، إلى أن تصل المعلومات إلى هدفها.. فلا ترتدّ إلى المرسل إلا في حالة عدم وجود المستقبل، بمعنى إلغاء عنوانه الشبكي مثلا.

٤- بلغ عدد مواقع أول شبكة قامت عام ١٩٧٧ م خمسين موقعا تابعا لجامعات ومعاهد بحوث أمريكية.. متباعدة عن بعضها بعضا، وكان هذا إيذانا بالخطوة التالية للتحرر الشبكي، فتخفيض تكاليف الاتصال الهاتفي والتخلص

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

من اعتماد التبرعات الخارجية لتغطيتها، كان من وراء ابتكار تقنية جديدة تسمح بالتواصل المباشر بين الجامعات والمعاهد، فإذا وصلت معلومة إلى طرف منها وصلت إلى الجميع، فنشأت المراكز الفرعية لتلقيم المواقع الشبكية، وأصبح في الإمكان وصل أكثر من شبكة محلية مع بعضها، فولدت –عام ١٩٨٧م– " شبكة الشبكات " بمعنى الكلمة.

ينبغي عند التفكير بتوظيف الشبكة –كسواها من التقنيات– لتحقيق أهداف النهوض الحضاري المرجو إسلاميا، إدراك أن نشأتها نفسها قد حررتها من صانعيها الأوائل، وأن الإشكاليات التي تثار تحت عناوين الرقابة والتجسس ورصد المعلومات وما شابه ذلك، لا تطرح نفسها من زاوية استخدام الشبكة أو عدم استخدامها بل من زاوية ضرورة استيعاب تقنيتها لتأمين استخدامها، ومع ملاحظة أن الرقابة الممكنة عبر الشبكة ليست باتجاه واحد، بل بكافة الاتجاهات، ومن أهم معالمها المميزة لها، أنّها لم تعد تقتصر على من يملك الطاقة الأعظم.. بل بات في الإمكان اقتحام معاقل الطرف الآخر بجهود محدودة نسبيا، كما نعلم من القصص العديدة لاقتحام بعض الهواة أشد مواقع المعلومات الأمريكية تحصينا في مثل وزارة الدفاع أو جهاز المخابرات المركزية.

لقد حررت شبكة العنكبوت تقنية الاتصال، وساهمت في تقليص الفجوة القائمة نتيجة تفاوت الطاقة التقنية، وهذا بالذات في مقدمة ما يجعلها من الوسائل التقنية المناسبة ليستخدمها الطرف الأضعف تقنيا في الوقت الحاضر، لمواكبة عجلة التقدم وتوفير وعاء حضاري لحقبة جديدة من تاريخ البشرية.

لم تعد تقنية الاتصالات ميدانا تتحكم فيه جهات إدارية أو سياسية أو اقتصادية، بل يتحكم فيه أصحاب المواقع أنفسهم، أفرادا وروابط وجمعيات، وجهات رسمية وأخرى غير رسمية، وجامعات علمية ومراكز قوى اقتصادية.. وكل يدلي بدلوه على قدر ما يوفّر لنفسه من اختصاصات وطاقات، وما يستطيع أن يبتكره من أساليب التأثير، وما يملك إعطاءه من معلومات يحتاج إليها سواه.

تحرير الفكر . . شبكيًا:

وليست قضية التواصل بسيطة على طريق النهوض الحضاري.. ولا نعني بطبيعة الحال مجرّد التواصل للترفيه والتسلية في منتديات حوار أو بريد إلكتروني –ولا اعتراض عليها– بل نعني التواصل الهادف بين الفئات القادرة على أن تخدم مهمة بناء مستقبلنا الحضاري خدمة فعالة، من أهل الفكر والأدب والمتخصصين في الميادين العلمية المختلفة، ومن الروابط والنقابات والجمعيات والهيئات المختلفة، فضلا عن مراكز البحث العلمي والدراسات المستقبلية.

وإذا كان علماؤنا الأوائل يرتحلون مسافات شاسعة ويقضون شهورا عديدة في السفر، طلبا للعلم حيث وجد أهله، فيكاد يكون التقصير عن السعي لجولات شبكية اليوم، على طريق طلب العلم ومواكبة آخر ما ينكشف من أسرار في الآفاق وفي أنفس الناس، وسعيا لتوظيفه للنهوض ببلادنا وشعوبنا.. يكاد يكون تقصير

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

القادر على ذلك وعلى توفير أسبابه لنفسه ولسواه، ضربا من ضروب خيانة الأمانة التاريخية.

ثم إنّ لاستخدام الشبكة والتواصل من خلالها وجوه وميادين عديدة، ونعلم على سبيل المثال أنّ من الأسباب الرئيسية لتخلف بلادنا العربية والإسلامية، ما أقيم من حواجز وعراقيل وخلافات وحدود فيما بينها، وهنا تعتبر شبكة العنكبوت بإمكاناتها التقنية المتميزة من أفضل الوسائل التي يمكن توظيفها في التواصل الضروري والمفروض.. رغم عقبة " تأشيرات السفر " وسواها من ألوان الحواجز أو حتى ألوان المقاطعات وإغلاق الحدود بين بلاد المسلمين.

كذلك فإن توظيف الشبكة لأداء مهام التطوير، في قطاعات العلوم الطبيعية والإنسانية، وعلى الأصعدة الجامعية والاقتصادية، وعبر الأساليب النظرية والتجريبية والتأهيلية.. جميع ذلك أكبر شأنا من أي خلاف مفتعل يفرّق بين بلادنا في الوقت الحاضر، وقد لا يزول ما لم تنشأ شبكة من التعاون على أرضية مشتركة ومصالح متشابكة، تصبح أكبر من أن يخاطر بها طرف من الأطراف من أجل مشكلات وخلافات جانبية وقد تكون شخصية محضة.

إنّ التقنية الشبكية توفر بذلك سبلا جديدة من أجل تحقيق شرط رئيسي لا غنى عنه لتحقيق أي صيغة نهوض حضارية نتطلع إليها، وهي أن نتجاوز على أرض واقع التطبيقات العملية علاوة على النظرية والفكرية، حدود تيارات متعدّدة، وقوميات متنازعة، ونظرات قطرية وإقليمية ضيقة، وإجراءات إدارية معيقة، وعلاقات سياسية متقلبة، إلى أرضية شاملة جامعة، قائمة على هوية حضارية متميزة مشتركة، إذا كان الإسلام فيها منطلقا عقديا للغالبية العظمى من السكان في دائرة حضارتنا الجغرافية المشتركة، فهو في الوقت نفسه وعلى أساس قيم إنسانية يرسخها، وماض مشترك صنعه، ومصير مشترك ظهرت معالمه، يمثل الأرضية الحضارية الوحيدة الممكنة مع غير المسلمين من السكان في الدائرة نفسها، وحتى على مستوى الرسالة الحضارية التي نحملها عالميا.

يسري شبيه ما سبق ذكره على بناء علاقات هادفة على مستوى عالمي أيضا لتوضع في خدمة حركة التطوير، لا سيما بعد أن أصبحت ضرورة الانفتاح على الشبكة أوضح من أن تحتاج إلى بحث وبرهان، علاوة على أن أمر انتشارها يوما بعد يوم أصبح أمرًا مفروغًا منه، لن يوقفه جدال جادّ ولا عقيم، وإن عرقله في دائرتنا الحضارية بالذات، فهو على أي حال جدال لا يفيد.. ولكن يضر، ولا يقدّم إلى الأمام خطوة واحدة.. ولكن يؤخّر خطوات.

والشبكة العالمية نفسها في مقدّمة الأدلة المنظورة المشهودة في كل مكان، على اضمحلال الحواجز على سطح الكوكب الأرضي، وهي تثبت هذه الحقيقة علينا وعلى سوانا، طوعا وكرها في آن واحد، وهذا ما يضعنا فكريًا وحضاريًا بين خيارين:

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

إمّا أن نطوّع ظاهرة انفتاح حلقات الأسرة البشرية على بعضها، ونطوّع الوسائل التقنية المميزة لهذا الانفتاح كالشبكة العالمية، فنوظفها لتحقيق ما نريد، ونسهم في أن يكون لقيمنا ومنطلقاتنا وتصوّراتنا الحضارية مكانها اللائق بها في مستقبل البشرية، أو تطوّعنا تلك الظاهرة كرها، بوسائلها الفعّالة، لما يريد منها وبها أولئك الذين يستخدمونها ويوظفونها من دوننا.. وفي كثير من الأحيان فيما يلحق الضرر المباشر وغير المباشر بنا.

ولا توصل الانعزالية في ميدان الشبكة العالمية وسواه، بدلا من تحقيق أول واجباتنا الإسلامية في طريق النهوض من التعارف والحوار والدعوة وفق ما يفرضه اختلاف العقيدة وتوجبه أمانة الرسالة.. لا توصل الانعزالية آجلا ولا عاجلا إلى انفصال فعلي للجزء البشري الإسلامي عن الكل البشري الإنساني، ولكن يمكن أن تؤدّي إلى إضعافه وإخضاعه للأجزاء الأخرى. ونعلم بالمقابل أنّه لن تظهر بصمات وجود الجزء الإسلامي في نطاق البشرية، ولن تكون له قيمة التأثير الفعال في حياة الإنسان، إلا بمقدار ما يحافظ هذا الجزء من الكل على خصوصيته في ميدان القيم والتصورات والأخلاق والأذواق.. دون انعزال قاتل، وبمقدار يكفي للحفاظ على تميزه الحضاري والثقافي النوعي، دون محاولة انفصال عقيم ومستحيل.

ورغم صدق الحمية والإخلاص من وراء الحملة على ما تحتويه الشبكة من أسباب لدعم الانحراف والانحطاط الأخلاقي، فإننا بهذا السبيل نساهم من حيث نريد أو لا نريد في نشر الإحباط ونحن نزعم الشكوى منه.. وهذا مع أن الشواهد تؤكّد أنّه لم يقع احتكاك بين طرف إسلامي وطرف غربي، على مستوى الشبيبة وإلى أعلى المستويات الفكرية، إلاّ وكانت النتائج إقناعا أو إقامة للحجة، إلى جانب الطرف المسلم، في سائر ما يرتبط بقضايا " إنسانية الإنسان ".. رغم قصور المسلمين في صناعة التقنيات والأدوات التي تخدم " معيشة الإنسان " ، ورغم أن ما يقع من احتكاك لم يوفر مواصفات التوازن وتكافؤ الفرص إلاّ نادرا.

على صعيد التعامل مع شبكة العنكبوت على وجه التخصيص لا يبقى للمخاوف مكان ولا مبرر. ولعل من خدماتها غير المباشرة أنها تدعم نهج التربية الوقائية عن طريق تنمية المناعة والحصانة لدى الفرد، من سن الطفولة إلى سن النضوج، اعتمادا على المحاسبة الذاتية، ما دام بدأ يسود الاقتناع باستحالة منع المحظور بصورة مطلقة عن طريق رقابة خارجية أو إجراءات شكلية.

ولكن ينبغي أن ينتشر بالمقابل الاقتناع أنّ التقنية الشبكية –على النقيض من الإنتاج السينمائي وما شابهه– لا تتعامل مع البشر معاملة شارع باتجاه واحد، بل يتميز التأثير من خلالها بأنه تأثير متبادل باستمرار، وتتوفر بهذه التقنية القدرة على الوصول إلى عدد ضخم من البشر، بتأهيل متواضع وتكاليف محدودة، وهذا ما لا يتوفر عن طريق أي تقنية أخرى للاتصال، والشبكة بذلك في مقدمة ما يمكن أن

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يدعم تجاوز هوة التقدم والتخلف بين شمال وجنوب.

عنصر الزمن.. ومخاطر التردد:

ويقف المشروع الحضاري الإسلامي على مفترق طرق، فالتقنية الشبكية توفر فرصا جديدة للتطوير والتنمية لم تكن متوفرة من قبل، ولكنها تنطوي أيضا على خطر كبير، فمن يتردّد طويلا عن الأخذ بها يمكن أن تتضاعف الهوة الفاصلة بينه وبين سواه في كل ميدان من الميادين، بأسرع ممّا كان عليه الحال خلال خمسين سنة ماضية بين الشمال والجنوب.

ولكن على قدر حاجتنا إلى بذل الجهود لتوظيف التقنيات الجديدة في صالح هدف النهوض، ينبغي أن نتجنب بالمقابل ما بات معتادا بصدد نشر المخاوف من التأثير الأجنبي الخارجي علينا عبر الشبكة –وسواها– فكأننا نؤكّد لأنفسنا، وعلى الأصح لجيل الشبيبة في بلادنا، عجز ما لدينا عن أداء دور الحصانة أو المناعة، أو نؤكّد عدم وجود ما نقدّمه وما نؤثر به على سوانا !..

ولئن كان أبرز أشكال التأثير الشبكي المتبادل التأثير بالمعلومة، المكتوبة والمسموعة والمشهودة، وبمعنى الكلمة الشامل لسائر المبادين النظرية والسلوكية، فقد أصبح للتقنية الشبكية أيضا تأثير أهم وأكبر، ويمكن توظيفه في ميادين عديدة للخروج من وهدة التخلف، فهي تنقل مستخدمها نقلة بعيدة المدى من حيث مضاعفة كفاءته، وتوفير نسبة كبرى من مصادر الخبرات والمعلومات مع إمكانات الاستعانة بسواه بسهولة نسبيا، وذلك في مختلف مراحل تنفيذ المشاريع، بدءا بدراسة جدواها وحتى مرحلة تقويم النتائج وما يقرره من تطوير وتحسين.. فضلا عن الخدمات الممكنة عن طريق الشبكة، لتحقيق تحسينات نوعية وكمية ضخمة على صعيد توفير مختلف الشروط الأساسية للتنمية والتطور، بدءا بميدان البحث العلمي كأساس لاغنى عنه، مرورا بتوفير أسبابه الأولى عبر التعليم المدرسي والجامعي والتأهيل المهني، وانتهاء بالمعاملات اليومية الإدارية والتجارية والمالية والإنتاجية وغيرها.

ونحن في قطاع الحاسوب والاتصالات الإلكترونية وشبكة العنكبوت أمام عالم جديد، يحتاج توظيفه إلى أسلوب جديد، في طرح المشكلة، وفي التفكير بجوانبها المختلفة، وفي التخطيط.. والتنفيذ.. والتقويم.. والتصحيح.. على السواء. وقد اعتدنا على الفصل فيما بين هذه العمليات، وعلى أدائها بصورة متتالية على مراحل زمنية متتابعة.. وهذا ما لا ينبغي الاستمرار عليه الآن، فقد بات من الضروري تحويلها إلى عملية مركبة واحدة، تندمج فقراتها ببعضها بعضا، وتتوازى عمليات تنفيذها جميعا، وإلا سبقنا الزمن، فيفسد المخطط الموضوع قبل حلول موعد تنفيذه، أو يفقد التقويم قيمته قبل تنفيذ ما ينبني عليه من نتائج للتصويب والتصحيح. وأول ما ينبني على ذلك:

نحتاج في عملية التخطيط والتنفيذ إلى التحرّك في ميدان التطوّر بسرعة أكبر من سرعة التطور المستمر لدى البلدان المتقدمة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

التي نريد اللحاق بها.. كي نلحق بالركب فعلا. ولا يكفي في الميدان الشبكي –وسواه من الميادين التطويرية المعاصرة– أن يكون التخطيط قائما على أساس بذل جهود كافية لردم هوة التخلف الراهنة، فنحن في هذه الميادين أمام تطورات تجري بسرعة مذهلة.. وقد لا نصل إلى مرحلة تنفيذ تلك المخططات، إلا ونجد أن الهوة التي خططنا لردمها قد اتسعت، وأن المخططات الموضوعة لم تعد تصلح لذلك(٩).

اختزال طريق التقدم:

إن للتقنية الشبكية ميزات عديدة أخرى ترتبط بتوظيفها في خدمة مشروع حضاري ولا يتسع المجال للتفصيل فيها، ولكن يمكن الإشارة إلى بعضها.. ومن ذلك أن جزءا كبيرا منها يخدم بعضه بعضا، وهذا ما ينطلق من التقنية التي اعتمدت عليها البرمجة الحديثة للحاسوب، فإمساك أوّل الخيط –إذا صح التعبير– يمكّن من الوصول إلى نهاية الطريق، أسرع بكثير على أي حال مما قد يحتاج إليه اللحاق بركب التقدم في ميادين أخرى.. ومن ذلك مثلا أنّ تقنية الحاسوب والشبكة عموما باتت على جانب كبير من التبسيط، وهو ما نتج عن الرغبة في الوصول بها وباستخدامها إلى النسبة الأعظم من العامة.. وهذا بالتالي ما ييسر على الدول النامية عموما ومنها الإسلامية، استيعاب التقنية الشبكية وتوظيفها والاستفادة منها، دون أن يكون لهوة التقدم والتخلف التقني والمادي الراهنة بين شمال وجنوب أثر معيق بدرجة مماثلة لما نعاني منه على صعيد وسائل أخرى.

يجب أن نعيد صياغة مفهومنا لما يسمى الثورة المعلوماتية وثورة الاتصالات.. لنخرج من النظرة السلبية الخاطئة القائلة، إنّ المتفوق علميا وتقنيا إلى الآن ضاعف قدرته على المزيد، وبالتالي على زيادة الهوة الفاصلة بينه وبين المتخلف علميا وتقنيا.

لم يعد هذا صحيحا على إطلاقه.. فآفاق تقنيات الاتصال الجديدة كسرت كثيرا من حواجز الاحتكار التي كانت حضارة الغرب تحيط منجزاتها بها، وفتحت في الوقت نفسها سبلا جديدا لم تكن متوفرة من قبل لتعاون المراكز والمعاهد والجامعات القائمة في البلدان النامية، وبين أقسام التطوير في الدوائر الرسمية والشركات الصناعية.. علاوة على إمكانية الاتصال بينها وبين مثيلاتها في البلدان الغربية، وبصورة تتجاوز كثيرا من الحواجز الرسمية والعقبات المقصودة أحيانًا.

عندما نضع أنفسنا نحن على أرضية شبكة العنكبوت باعتبارها تتبع لنا كما تتبع لسوانا، نجد أن من البدهي الاستفادة من كل معلومة تتوفر في أي مكان من العالم، إذ تتوفر في اللحظة نفسها في كل مكان.. وأن كل تجربة علمية تجري في موقع من المواقع يمكن أن يطلع عليها العلماء ويتابعوها من مختلف أنحاء الأرض.

والتخلف في التقنية الشبكية في بلادنا لا يعود قطعا إلى افتقاد الإمكانات فقط، فهذا سبب

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يمكن أن يلعب دورا، ولكنه لا يمثل عائقا يستحيل تجاوزه، وهذا ما نستخلصه سريعا عند المقارنة على سبيل المثال، بين التباطؤ في تحرك فعال يدعم انتشار تقنيات الشبكة، وبين سرعة انتشار الفضائيات وسائر الأجهزة الإلكترونية الترفيهية المرتبطة بها، حتى أصبحت البلدان الإسلامية، لا سيما العربية منها، تضاهي مختلف دول العالم من حيث عدد المحطات.. وعدد ساعات البث.. وندع تقويم المحتوى للدراسات الإعلامية المتخصصة، وهذا مع أن التقنيات والتجهيزات والتمويلات التي يتطلبها قطاع البث الفضائي، وكذلك العقبات القانونية التي كان عليه أن يتخطاها على المستوى المحلي والإقليمي والدولي، وحتى مفعول الرقابة الأشد نسبيا.. جميع ذلك أكبر بكثير مما يعترض سبيل وضع المشاريع الممكنة وتنفيذها في مضمار التقنية الشبكية، فضلا عن تعميمها لتكون في متناول أكبر عدد ممكن من عامة السكان !..

العقبة الأكبر في وجه استدراك ما فاتنا من التقدم التقني الشبكي هي عقبة توفير الشروط الذاتية، التي لا علاقة لها بالتقنية نفسها.. أو الهوة الفاصلة بين التقدم والتخلف تقنيا، وإنما ترتبط بجوانب نفسانية وفكرية واجتماعية في الدرجة الأولى.

الوجود الإسلامي في الشبكة:

يتطلب البحث عن الخطوات الضرورية لوضع التقنية الشبكية في موضعها من المشروع الحضاري الإسلامي للمستقبل، أن ننظر نظرة التقويم لما يوجد من ذلك بين أيدينا في الوقت الحاضر. وإذا كانت المبالغة لا تصح بصدد الحديث عن حجم الوجود الإسلامي الفعلي في شبكة العنكبوت حاليا، فلا يصح أيضا التهوين من شأن ما تمّ تحقيقه، سواء من الناحية النوعية أو الناحية الكمية. ولكن ينبغي الخروج بهذا الموضوع.. الذي انتشر التعرّض إليه في كثير من وسائل الإعلام العربية والإسلامية، من قالب التعميم إلى تحديد أسلوب البحث عن قواعد منطقية ومعايير ثابتة، تنتشر وتعمّ على قدر سلامتها والاقتناع بها، لتقويم ما يوجد بالفعل، وما نحتاج إليه، وما يمكن صنعه، كمقدمة لتحديد ما يتوفر لذلك من معطيات وآليات تطبيقية بين أيدينا، أو ما نفتقده وينبغي توفيره. فالسؤال عن الوجود الإسلامي في الشبكة شامل لأكثر من مجال، لعل الأهم من بينها: ضبط المقصود بكلمة " إسلامي " في هذا السؤال، وضبط ما تعنيه " التقديرات الكمية " للمواقع الموجودة، ثم التقويم النوعي للموجود.. أو ما نعتبره موجودا ويحمل وصف إسلامي، لتوفير المعطيات الضرورية لرؤية مستقبلية، تساعد على تطويع الشبكة –وسواها من التقنيات الحديثة– لتكون أدوات في خدمة المشروع الحضاري الإسلامي، كما باتت تستخدم كأدوات من جانب خصومه وأعدائه.

نوعية ''الإسلامي'' في الشبكة:

ونحن أمام أكثر من مفهوم لكلمة " إسلامي " في السؤال المطروح، ويمكن اعتبار كل منها صحيحا تبعا لزاوية النظر إلى الموضوع.. إنّما نحتاج إلى ضبط المقصود بالكلمة لضبط

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

مجرى البحث. ومن محاور تعريف الكلمة دون حصر:

١- بين أيدينا مواقع إسلامية تكتسب هذا الوصف من منطلق جغرافي محض، بمعنى مكان وجود القائمين عليها وعلى رعايتها شبكيا داخل حدود بلد إسلامي. وليس السؤال المطروح هنا، هل تتناقض مع الإسلام رغم تسميتها إسلامية أم لا، ولكن قد يظهر التناقض باعتبار أن الكثير منها لم ينشأ ابتداء لترسيخ اتباعه أو اتباع جانب من جوانب عقيدته وشريعته -تخصصا- أو للعمل من أجل مشروعه الحضاري المستقبلي على أرض الواقع الآني أو في بعض قطاعاته، بل تعتبر تلك المواقع مرآة للأوضاع الراهنة في البلدان الإسلامية، وهي متنوعة متناقضة متعددة الوجوه، بدءا بالفكر الإسلامي المخلص وانتهاء بدعوات التضليل والتخريب، وبدءا بأعمال تخدم الإسلام والمسلمين وانتهاء بأخرى تعاديه وتعاديهم.

الجدير بالتنويه أن الانطلاق من عامل الجغرافيا في وصف هذه المواقع بالإسلامية، يبقي خارج الدائرة مواقع أخرى، معروفة بإسلاميتها محتوى ونشأة ومن حيث القائمين عليها، ولكنها في " المهجر " فلم تستوطن هي قطرا إسلاميا، ولا يقيم أصحابها في قطر من الأقطار الإسلامية.. ولعل أول ما نشأت المواقع الشبكية بعناوين ومضامين إسلامية، كان عن طريق الجمعيات والروابط الطلابية للمسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا(١٠).

٢- وبين أيدينا إذن مفهوم آخر لوصف " إسلامي " باعتبار المحتوى، ولا نأخذ بعين الاعتبار مبدئيا حاجة المحتوى إلى التقويم من منطلق إسلامي، صادر عن ثوابت الإسلام، بل نراعي وصف مواقع شبكية بالإسلامية أن أصحابها يعتبرون المحتوى إسلاميا، وأدرجوا مواقعهم في آليات البحث تحت عنوان " إسلام ".. ومن هنا لا غرابة أن نجد مواقع عديدة تتبع لحركات مارقة على الإسلام كالقاضيانية وتطلق عليها الجهات الغربية وصف " إسلامية " ويتسرب ذلك إلى بعض ما ينشر في بلادنا الإسلامية(١١).

٣- وبالمقابل نجد من أصحاب المواقع الشبكية من يورد موقعه تحت عنوان " روابط " مثلا، ولا يشير إلى ما يوجد في صفحاته الفرعية من مضمون إسلامي جيد، ولا يضع عنوانا إضافيا مميزا لتشمله بيانات البحث تحت أكثر من بند في وقت واحد، فإذا ورد في دراسة إعلامية أو استطلاع رأي صحفي ذكر " المواقع الإسلامية " لا يؤخذ بعين الاعتبار وجود صفحات إسلامية أكبر من مواقع كاملة أحيانا، ولا يتم إدراجها في البحث فيصيب الخلل نتائجه.. ويسري شبيه ذلك على ما يوصف بالمواقع الشخصية، والمواقع الإعلامية، وغيرها.. وقد نجد فيها من الاهتمام بالإسلام وقضاياه ما لا نجده في بعض المواقع التي تحمل عنوان الإسلام بصورة مباشرة.

٤- ولدينا أيضا مواقع تهتم على سبيل المثال بقضايا التربية والأسرة، ويغلب عليها المنظور الإسلامي، ولكن نادرا ما نعنيها بكلمة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

" إسلامي " في تصنيف المواقع الشبكية، إذ غلب على استخدام الكلمة مفهوم تقليدي، يرتبط بإبراز الافتتاح بالبسملة مثلا، أو الإكثار من ذكر الآيات والأحاديث، أو وضع صور ولوحات للمقدسات والمساجد.. وحتى في التسجيلات الصوتية، بات ينتظر مما يوصف بالإسلامي، أن تتبدّل لهجة صوته في كلامه العادي مدّا وغنة وتجويدًا إلى درجة التنطع.. هذا الشكل الذي " جعلوه " تقليديا، قد لا نجده في موقع يتحدّث عن خدمة من الخدمات اليومية في قطاع التربية أو الصحة أو السفر.. ولكن قد نجد من وراء ما يرد فيه تصوّرا إسلاميا، فجميع ذلك مما يشمله الإسلام(١٢).

يمكن الانطلاق من أن شروط صفة "إسلامي" تتحقق عند الانطلاق من شمولية الإسلام لمختلف قطاعات الحياة، واعتماد تصوّر إسلامي في متابعة قضية من القضايا أو قطاع من القطاعات، والتزام أحكام الإسلام بغض النظر عن مدى اتخاذ ذلك الالتزام صيغة " استعراضية " أو مظهرا من المظاهر الشكلية.. فآنذاك يمكن أن يندرج الإنتاج – الشبكي وسواه– تحت عنوان إسلامي وأن يعبّر عن جانب من جوانب المشروع الحضاري الإسلامي، وذاك ما ينبغي اعتماده أكثر من سواه في عملية التصنيف.

٥– وإذ نرجح المفهوم الأخير لكلمة إسلامي، نقدّر أن هذا يقتضي إسقاط عامل الجغرافيا، وعامل التسمية الشكلية، وعنصر التعبير التقليدي، وبدلا من ذلك اعتماد معايير المنطلق، والمنهج، والقصد، والوسيلة.. وسيشمل التعريف آنذاك المواقع الإسلامية المرجعية عبر ارتباطها بأمهات المصادر الإسلامية، وقابلية أخذ طريقها على صعيد الاجتهاد على أرضية العالم المعاصر.. ثم المواقع الجامعة إسلاميا من حيث اهتمامها بقضايا الفكر والثقافة والأدب وقضايا السياسة والاقتصاد والاجتماع .. ونجد أنواعا عديدة أخرى، كالمواقع الحركية، ومواقع معارضة بعناوين إسلامية، ومواقع إسلامية رسمية، ومواقع هيئات مستقلة وشبه مستقلة أو رسمية إسلامية.. وغير ذلك.

المهم هو إدراك أن وصف أي موقع شبكي بكلمة " إسلامي " إنما هو وصف نسبي، لا يعني الكمال آنيّـاً، ولا ينفي احتمال اقترابها في وقت لاحق اقترابا أكبر أو ابتعادها ابتعادًا أكبر من تحقيق الكمال النسبي، فالوصف ليس " أبديًا" إنّما يرتبط بشروطه الموضوعية، على قدر ما ينطبق على الموقع من التزام الإسلام منطلقا ومنهجا وقصدا ووسيلة، دون المبالغة أو التسرع في إصدار الأحكام، ومع مراعاة التفاوت بين موقع وأخر من حيث الأهمية، بدءًا بما يغلب عليه حماس صادر عن الإحساس بالحاجة إلى التعبير الفكري أو التأثر الوجداني، وانتهاء بموقع يتطلب تدقيقا أكبر والتزاما أعظم، باعتباره شاملا مرجعيا في محتواه وفي الدعوة إلى تبنيه والاستفادة منه.

كمية ''الإسلامي'' في الشبكة:

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

إن الوصول إلى نظرة قويمة في تقدير الوجود الإسلامي في الشبكة العالمية يتطلب أمرين على الأقل، أوّلهما تحديد المقصود بهذا الوصف، والأمر الثاني هو إيجاد آلية مناسبة لتقدير الكم الموجود تقديرا أقرب إلى الصواب.. ولكن حتى إذا توفر تعريف محدد ودقيق لوصف "إسلامي" لا نحسب في الإمكان حصر المواقع الشبكية الجديرة به أو المتطفلة عليه حصرًا دقيقًا، ولا حتى تقدير عددها على نحو تقريبي، ما لم تتوفر لنا مراكز تتخصص في الميدان الشبكي، وتخصص لهذا الغرض ما يكفي من الجهد، وتنطلق من معايير ثابتة متفق عليها في عملية الحصر والتبويب، وهي عملية متجددة لا تنتهي، كما أنّ تطور محتويات الشبكة غير محدود.

ويؤكّد الحاجة إلى تلك المعطيات الأولية ما يشيع من أخطاء في تقدير عدد المواقع الإسلامية وتقويمها، ومن ذلك على سبيل المثال اللجوء إلى آليات البحث المعروفة مع الظنّ بأن ما تورده من عناوين وأرقام يعطي صورة صحيحة أو تقريبية. وعلى سبيل المثال تعطي آلية البحث " ياهو " (في مطلع عام ٢٠٠٠ م) للباحث عن المواقع وفق كلمة " إسلام " جوابًا يقول بوجود ١٠٣٨ موقعا إسلاميا، موزعا على ٧١ فرعا نوعيا.. وتكفي لبيان خطأ الأخذ بهذا الرقم الإشارة إلى أنه يشمل صفحات فرعية داخل موقع واحد، فيتكرر ذكره مرات عديدة، وإلى التركيز على لغات دون أخرى وبلدان دون بلدان، في كل آلية بحث على حدة، وتبعا للسائل نفسه ولتجهيزات متصفحه الشبكي، علاوة على أن كل آلية بحث تتعامل في الدرجة الأولى مع " بيانات جدولية " مخزونة لديها، وتشمل ما يصل إليها.

هل يمكن تبعا لما سبق ذكر أرقام تقديرية قريبة من الواقع لعدد المواقع الإسلامية ؟.. لا شك أن التقديرات ستتراوح آنذاك وعلى حسب منطلق السائل بين بضعة ألوف ومئات الألوف من المواقع..

ليس الغرض هنا ترجيح رقم معين عن الحجم الكمي للوجود الإسلامي الشبكي، وإنّما تأكيد خطأ التسرّع في تثبيت أرقام ما وبناء مواقف عليها، وربما وضع مخططات عملية ومشاريع تنفيذية على أساسها، إلا إذا توفر مع عنصر " السرعة " الزمني الضروري، ضمان سلامة البحث وشموليته، وهو ما يتطلب في قطاع الشبكة الكبير عملا على مستوى مؤسسة أو مؤسسات عدة، من معاهد جامعية ومراكز بحوث وما شابهها.

ولكن إذا كان عسيرا الجزم برقم محدد فمن الممكن الاستناد إلى مؤشرات عديدة على حجمه نسبيا بالمقارنة مع سواه، وسبقت الإشارة مثلا إلى جواب آلية البحث " ياهو " على السؤال عن كلمة " إسلام "، بوجود ١٠٣٨ موقعا في ٧١ فرعا، فإذا بحثنا بالمقابل عن المواقع المتوفرة تحت بند " كنيسة " يأتي الجواب بوجود ١٤٢٥٨ موقعا في ٦٧٨ فرعا نوعيا. وإذا حصرنا عبر آلية البحث نفسها ما يوجد من منتديات حوار حول مواضيع تجمعها كلمة " إسلام " نجد ٣١٨

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

منتدى، تصل المشاركة في الواحد منها إلى ٢٠٥١ شخصا كحد أقصى، بينما يوجد منها عدد كبير لا يتردد عليها سوى صاحب الموقع، وتبدو قيمة الرقم المذكور عند الإشارة إلى وجود أكثر من مليون منتدى حوار شبكي في الوقت الحاضر.

نميل في الأصل إلى التفاؤل.. ولكن لا بد من الإقرار بأن ما تحقق إلى الآن أقل بكثير مما ينبغي، بل و أقل مما يعتبر تحقيقه داخل نطاق الإمكانات المتوفرة، ولا نعني إمكانات الدول فقط، بل وإمكانات الروابط والجمعيات والمعاهد والجامعات والمدارس والنوادي فضلا عن المواقع الشخصية، التي يبدو الإقبال على إنشائها –رغم اعتماد الجهود الذاتية– أكبر من إقبال أصحاب القدرة على ذلك من الجهات المذكورة وأمثالها.

وتجدر الإشارة إلى أن المثال السابق يكشف عن نقص نسبة المواقع الإسلامية بغض النظر عن مستوياتها، وعلى وجه الإجمال تلك الناطقة بلغات أجنبية، وهي الغالبة فيما تشمله آلية البحث المذكورة، وبالمقابل يمكن التنويه بأنّ المواقع العربية بمختلف المقاييس الجغرافية واللغوية أو من حيث هوية القائمين عليها، هي في النسبة الأكبر منها مواقع إسلامية المحتوى، أو تخصص لما تعتبره مواضيع وقضايا إسلامية قطاعا كبيرا من صفحاتها الفرعية. هنا أيضا لا توجد إحصاءات دقيقة أو تقديرات قريبة من الواقع، ولكن توجد مؤشرات يلاحظها من يقوم بجولة يومية في الشبكة، أو من يقصد أحد المواقع الجامعة لعناوين شبكية عربية ويقارن بين محتوياتها، أو من يتابع المجلات العربية المتخصصة بالشبكة.. ومن تلك المؤشرات ما يؤكّد أن المخصص للإسلام من الناحية العددية يزيد على نصف ما نشأ حتى الآن من مواقع شبكية، من جانب أفراد أو مؤسسات وهيئات، من البلدان العربية بالذات أو الإسلامية عموما، سواء من المقيمين فيها أو خارجها.. وتسري نسبة مماثلة أو أعلى على المخصص للإسلام من حيث عدد الصفحات داخل الموقع الواحد إذا غلب عليه التنوع.

أرقام ودلالات[١٣]:

ولبيان " حجم الإسلامي " بالمقارنة مع سواه عالميا، يمكن العودة إلى حجم الشبكة وتناميها المطّرد في هذه الأثناء، فعلى الصعيد العالمي.. كان نمو عدد المواقع الشبكية من بضعة آلاف عام ١٩٩٠ م إلى ٣٠٠ ألف تقريبا عام ١٩٩٥ م.. ثم إلى ٤٥ مليونا عام ٢٠٠٠م.. وقفز في الوقت نفسه عدد مستخدمي الشبكة من عشرات الألوف إلى ٢٨ مليونا ثم إلى ٢٨٠ مليونا الآن، وتقول التقديرات إنّ عددهم سيناهز المليار خلال ثلاثة أعوام مقبلة، أي ما يوازي سدس البشرية.

ونميّز بين مواقع أساسية ومواقع مستضافة.. فالأولى تلك التي تتبع بموقع تخزين المعلومات وبإدارتها للجهة صاحبة الموقع نفسها، وهذه المواقع لم يصل عددها إلى ٦ ملايين من أصل ٤٥ مليونا، ولا يوجد منها في المنطقة العربية والإسلامية إلا القليل فلا تشملها الإحصاءات.. أما المواقع

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

المستضافة والتي بات في الإمكان الحصول عليها مجانا بالنسبة إلى الفرد العادي، فتشكل النسبة الأعظم من المواقع الشبكية الحالية وهنا يقدر عدد المواقع العربية بأقل من ١٠٠ ألف موقع.. ويبلغ عدد المواقع الإسرائيلية – للمقارنة– ٩٨ ألفا، فكل من الجانبين يمثل زهاء ٢ بالألف من عدد المواقع الشبكية في العالم، ولكن مع ملاحظة أنّ العرب يعدون ٥٠ بالألف من سكان العالم وأن نسبة الإسرائيليين في حدود ٥ بالألف.

ولا يعود هذا فقط إلى أن مولد الشبكة كان أمريكيا وبالتالي كان للإسرائيليين الحظوة كالمعتاد، إذ نلاحظ مثلا، فأمر إنشاء المواقع الشبكية بالذات يمكن أن يتجاوز هذه العقدة، ويرتبط بمدى الإقدام على هذه الخطوة وتوفير متطلباتها الذاتية، وليست كبيرة في الأصل.. ونلاحظ أنّ عدد المواقع "المدنية" اليابانية بلغ مليونا و٧٠٠ ألف فاحتلت اليابان المرتبة الأولى، تليها المواقع الأمريكية "المدنية" في حدود مليون و٥٦٠ ألف موقع، مع ملاحظة أن عدد سكان اليابان لا يصل إلى نصف عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية.. أما المواقع "العسكرية" الشبكية فتستثنيها الإحصاءات المقارنة لاختلاف طبيعتها، ويبلغ عدد الأمريكية منها زهاء مليونا و٥١٠ آلاف موقع.

وبعد اليابان فالأمريكيين يحتل البريطانيون المرتبة الثالثة تليهم البلدان الأوروبية الأخرى، ويظهر الإسرائيليون في المرتبة ٢٦، بينما لا تظهر دولة إسلامية على القائمة إلا في المرتبة ٣٦ وهي ماليزيا وفيها ٤٨ ألف موقع، تليها تركيا.. وتظهر الإمارات كأول دولة عربية في المرتبة ٤٤ عالميا بواقع ١٨ ألف موقع، ثم الكويت في المرتبة ٦١ عالميا.. وتوجد بلدان عربية وإسلامية لا تشملها الإحصاءات لندرة المواقع الشبكية فيها، مثل جيبوتي وإريتريا والصومال وكذلك سورية والعراق والسودان وليبيا وأفغانستان وغيرها.

إنّ البلدان الإسلامية بما فيها العربية، التي تعدّ ٢٥ % من سكان العالم، ويقطن فيها أكثر من ٢٠ % من البشرية، وتشغل زهاء ١٥ % من مساحة كوكب الأرض، لا تشغل أكثر من ٤ بالألف من عالم الشبكة بمقياس عدد المواقع فيها، ولا يختلف الأمر كثيرا بالنسبة إلى استخدام الشبكة كمقياس لنقل المعلومات عبرها.. كما يبين الجدول التالي:

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الفئة	عدد أفرادها بالملايين	نسبتهم إلى سكان العالم	مستخدمو الشبكة منهم	نسبتهم المئوية إلى المستخدمين	نسبة المستخدمين إلى السكان
سكان العالم	٦ مليار نسمة	١٠٠ %	٢٨٠ مليون نسمة	١٠٠ %	٧،٤ %
العالم الإسلامي	٣،١مليار نسمة	٧،٢١ %	٣ ملايين	٠٧،١ %	%٠,٢٣
العالم العربي	٢٥٠ مليون نسمة	٢،٤ %	٩٥٠ ألفا	٠,٣٤ %	٠,٣٨ %

الوجود العربي والإسلامي في الشبكة إذن ما زال متدنيا إلى حد خطير، لم يصل إلى خمسة أعشار في المائة بكافة المقاييس، بينما نجد نسبة انتشار الشبكة بين الأمريكيين تجاوزت ٢٤ % وبين الأوروبيين الذين يعتبرون أنفسهم متخلفين في هذا المضمار ١٢ %.

وفي هذه الأثناء بدأ " تسارع النمو" في القطاع الشبكي يعتدل على المستوى العالمي تدريجيا، وكان للأمريكيين قصب السبق في حجم النمو السنوي، فبدأ سواهم يستدرك ما فاته، فيلاحظ على سبيل المثال أن المواقع باللغة الإنجليزية، من الأمريكيين وسواهم، كانت تحتل زهاء ٨٥ % من المواقع الشبكية عموما في عام ١٩٩٧ م، وهبطت هذه النسبة تدريجيا وتقدّر حاليا بحوالي ٧٨ %. كذلك فنمو عدد مستخدمي الشبكة بدأ يتسارع في أنحاء العالم بنسب تتجاوز نسبة نمو عدد الأمريكيين، وهو ما لا يعود فقط إلى وصول انتشار الشبكة إلى مستوى قريب من الإشباع في الولايات المتحدة الأمريكية، إنّما يعود أيضا إلى ازدياد الاهتمام العالمي بالشبكة، وهو ما يسري على الاتحاد الأوروبي بصورة خاصة، وعلى دول شرق آسيا في المرتبة الثانية.. وبدأ يخترق جدار الزمن تدريجيا في المنطقة العربية والإسلامية أيضا، كما تشهد السنوات الثلاث الأخيرة من القرن العشرين الميلادي، حيث ارتفع عدد المستخدمين في البلدان العربية من ٢٥٠ ألفا إلى المليون تقريبا، وعدد المواقع من حوالي ١٥ إلى ٤٥ ألفا، ويسري شبيه ذلك على البلدان الإسلامية عموما، ومن الملاحظ أن النظرة الرسمية من جانب الحكومات إلى الشبكة وضرورتها بدأت تتبدل، ففتحت السعودية أبوابها ومهدت سورية الطريق لذلك، ووضعت مصر والإمارات مشاريع طموحة لنشر الشبكة على نطاق واسع، واحتلت قطر مرتبة جيدة من حيث اهتمامها بتقنية تصميم المواقع الشبكية، لا سيما الإسلامية منها.

مستخدم الشبكة.. والإسلام:

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

إذا تركنا جانب القصور في إطار المقارنات عالميا، نجد أنّ الموقع الإسلامي يحتل مكانة متقدّمة في إقبال المسلمين على إنشاء المواقع أو زيارتهم لها على السواء.. والزيادة مطردة ومتسارعة، كما تؤكّد متابعة أكثر من مصدر يضمّ عددا كبيرا من المواقع العربية عموما، ومن ذلك على سبيل المثال برنامج شبكي باسم دليل المواقع العربية (١٤)، يتابع زيادتها باستمرار، وفي آخر المقارنات الشهرية لمحتوياته، نجد أنّ نسبة ارتفاع المواقع ذات العنوان الإسلامي مباشرة يزيد على ٤٠ % بالمقارنة مع المواقع الأخرى، مع ملاحظة أن في تلك أيضا محتويات إسلامية تحت عناوين أخرى.. وعند إلقاء نظرة على ما تختاره المجلات المتخصصة كمجلة "إنترنت العالم العربي " كأفضل المواقع الشهرية، نجد اختيارها قد وقع مرارا على موقع إسلامي.. سواء في ذلك موقع الشيخ العلامة يوسف القرضاوي، الذي يوصف بالموقع الشخصي وهو من أوسع المواقع الإسلامية محتوى وفائدة، أو موقع مركز الإعلام الفلسطيني التابع لحركة حماس من بين المواقع ذات المحتوى السياسي والإعلامي، أو موقع " الإسلام على الإنترنت " الحديث النشأة نسبيا كأحد المواقع الإسلامية الأكبر والأشمل، مع تميزه على معظم الموجود منها بسرعة تفاعله من منطلق إسلامي مع الحدث اليومي.

رغم ذلك لا تنقطع الشكاوى من قصور المسلمين في التعامل مع الشبكة العالمية.. ولئن كان المقصود بذلك أن حجم الاستفادة كدول وشعوب ومجتمعات من الشبكة وتوظيفها في المجالات المعيشية والقضايا الكبيرة، مازال ضئيلا بالمقارنة مع دول أخرى ومجتمعات أخرى، فهي شكاوى محقة، وينبغي دراسة الأسباب والعقبات دراسة منهجية تفتح الطريق أمام التخلص من القصور والتقصير.. أمّا عندما تقصد الشكوى تقصير استفادة المسلمين من الشبكة لأغراض إسلامية بالمقارنة مع أغراض أخرى، بغض النظر عما يصنع غير المسلمين، فليست الشكوى محقة بصورة عامة، سواء كان القصد منها تشجيع المسلمين على التحرك، أو كان القصد توجيه اللوم للدعاة إلى الإسلام وإلى الجماعات الإسلامية وإلى العلماء والمفكرين الإسلاميين. ويستغل معارضو الإسلام ذلك في كثير من الأحيان لمزيد من تثبيط الهمم، ونشر صورة سيئة عن الإسلام والمسلمين والدعوة إليه عموما.

لا نريد التهوين من حقيقة القصور القائم، ولكن تأكيد ضرورة التحول من أسلوب الاتهام واللوم.. وكذلك التخلص من الإغراق في الحمية عند اتخاذ المواقف والأحكام، ومن المبالغة في الغيرة على الإسلام والمسلمين إلى درجة الغفلة عن الإيجابيات وضرورة تنميتها بدلا من كبتها.

ومع تجنب الاسترسال في هذا الجانب، نشير بصورة خاصة إلى أسلوب بات يستخدم في نشر مقولة مضللة عن الشباب المسلم، أنّه إنّما يريد بغالبيته الكبرى اللهو والفساد عبر الشبكة العالمية.. وهو أسلوب تضليل بات " تقليديا " في الترويج لكل فاسد مستورد، ولكل

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

شاذ هابط من إنتاج محلي، في ميادين الفكر والفن والترفيه وغيرها، فعامّة المسلمين متهمون بأنهم أصحاب أذواق " مبتذلة ".. وهذا ما يجعل النسبة الأعظم من برامج الفضائيات مثلا فاسدة مبتذلة، وكثيرا ما وردت هذه المقولة بعبارات مشابهة على ألسنة المسؤولين عن الفضائيات المعنية، أثناء مناقشات إعلامية بمشاركتهم.. ويذكرونها وكأنّ تعلن عن بدهية مفروغ منها لا تحتاج إلى برهان، وحتى بات بعض الأقلام الإسلامية أيضا يذكر مضمون تلك المقولة وكأنها بدهية أيضا، فيحاول التبرير أو اللوم، وليس الاتهام صحيحا، ولا أثبت أحد صحته، ولا توجد استفتاءات حرة نزيهة مضمونة تقطع الشك باليقين، ولا استطلاعات رأي مدروسة تقدّره على وجه الترجيح، ولا دراسات منهجية يمكن الاعتماد عليها بمقاييس البحث العلمي، لنقول إنّ موقف المسلم من هذه الوسائل التقنية هو موقف طلب الفساد أم تحمّله على مضض أم الانسياق تحت تأثيره أم رفضه والبحث عن بدائل.

وأمّا إذا نظرنا في استقراءات واستطلاعات جزئية نشرتها وتنشرها بعض المجلات المتخصصة من وقت إلى وقت، فسوف نجد أنّها تنقض المقولة المذكورة.. تماما كما ينقضها ارتفاع نسبة أصحاب المنطلقات والمواقف الإسلامية من المشاهدين السائلين في برامج الحوار الحية على شاشة التلفاز (١٥). كما تجدر الإشارة إلى أن المسلمين الذين حوصروا في كوسوفا فترة من الزمن، وفي الشاشان شهورا عديدة حتى ساعة كتابة هذه السطور، استطاعوا اختراق الحصار عبر مواقعهم الشبكية التي باتت مصدرا رئيسيا للاطلاع على أخبارهم ومواقفهم وكسر التعتيم الإعلامي حولهم، ليس من جانب عدوهم المباشر، الصربي أو الروسي، بل ومن جانب وكالات أنباء غربية كانت في البداية حريصة على الاقتصار على نقل ما ينشره الصرب والروس عن مجرى الأحداث.

إنّ علاقة المسلمين بمكانة إسلامهم في الشبكة وغيرتهم عليه، وإقبالهم على ما يتوفر منه، لا يختلف عن شأنهم مع الإسلام عموما، وهي عين العلاقة القائمة في ميادين أخرى والتي تكشف عنها مثلا وباستمرار الانتخابات الجزئية المرخص بها، ورغم الشروط "التعجيزية " فيها، سواء كانت طلابية أو نقابية أو حتى نيابية.. عندما تتوفر شروط النزاهة والشفافية وتكافؤ الفرص والالتزام بالنتائج، وما أندر ذلك.

الموجود والمفقود:

لا نحسب بعد ما سبق أن الاتفاق على تعريف مشترك عما هو إسلامي في الشبكة، يعمّ استخدامه والرجوع إليه يمثل أمرا سهلا أو قابلا للتحقيق في غياب مرجعية موحدة للمسلمين، ولكن يمكن على الأقل الوصول إلى تصنيف موضوعي تحت عنوان " إسلامي " على أن تساهم في إصدار هذا التصنيف جهات إسلامية وشبكية، تضم عددا كافيا من ذوي العلم الإسلامي وذوي الاختصاص الشبكي، وبما يرجّح أن تجد النتائج القبول عموما.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

على أن أول ملاحظة ينبغي تثبيتها هي التمييز بين صنفين من الوجود الإسلامي الشبكي، أولهما "مرجعي" يمكن الاستشهاد بما ينشره كما هو الحال في عالم الكتب، والرجوع إليه للاستعانة بالمصادر الأساسية بدءا بالقرآن الكريم والحديث الشريف مرورا بأمهات كتب التراث وانتهاء بما أصبح بمثابة المراجع من المكتبة الإسلامية الحديثة. وهذا الصنف المرجعي هو ما يكتسب مكانته المرجعية مع الزمن اعتمادا على من يقف من ورائه ويقوم عليه، وعلى عدم وقوعه في أخطاء تتجاوز "اللمم".

أما الصنف الثاني فهو ما ينشأ بجهود فردية -كالمواقع الشخصية- وجماعية -كمواقع الروابط- ويعبر عادة عن الاقتناع بالإسلام والرغبة في الإفصاح عن هذا الاقتناع بشكل من الأشكال الفكرية أو الأدبية أو الفنية أو ما شابه ذلك.. وهو ما يمثل الكثرة الوفيرة، ويكون فيه الصحيح وسواه والمفيد والأقل فائدة، والممتع بضوابط إسلامية وما فقد الضوابط وإن حمل عنوانا إسلاميا بصورة ما. ومثل هذه المواقع لا يكتسب أهمية ومكانة إلا بمقدار ما "توجّه إليه الأنظار" فقد ينشط العلمانيون مثلا في إبراز مواقع شعرية لشعراء مقربين إلى أفكارهم.. فتشيد وسائل الإعلام العلمانية بتلك المواقع ويربط بعضها بعضها الآخر ليلفت نظر مستخدمي الشبكة.. وذاك ما يمكن أن يصنعه أصحاب الغيرة الإسلامية بمختلف الوسائل التي يملكونها.

إن المواقع الإسلامية، المرجعية والشاملة والتوجيهية، هي التي تتطلب أكثر من سواها الوصول من جانب المتخصصين كما سبقت الإشارة إلى صياغة معايير ترسخ مكانتها وتستثني منها ما لا يليق محتواه بتلك المكانة، على أن تكون صياغة تلك المعايير بسيطة العبارة سهلة المضمون، ليستطيع الفرد المسلم من مختلف المستويات الثقافية والفكرية أن يستعين بها،

ليتمكن من أن يقدر بنفسه ما ينطبق عليه وصف الإسلامي المرجعي وما لا ينطبق.. بعيدا عن أجواء التعصب والطائفية والعوامل السياسية وما شابه ذلك، وليكون أساس التقويم بذلك أساسا منهجيا موضوعيا أمينا.. كما يقتضي الإسلام من أهله.

بينما يحتاج الصنف الآخر من المواقع إلى حملة إرشادات يمكن أن تنطلق من المواقع المرجعية نفسها، وعبر وسائل الإعلام، فذاك ما يعزز مكانة تلك المواقع من جهة، ويساعد مع مرور الزمن على انتشار مزيد من المواقع العامة للتواصل بين المسلمين، وإيجاد أجواء إسلامية قويمة عبر الشبكة العالمية.

ولا يمكن كما سبقت الإشارة القيام بعملية حصر دقيقة لما هو موجود وما هو مفقود ونحتاج إليه من مواقع إسلامية مرجعية وعامة.. ولكن في إطار الخبرة والاستقرار من خلال المتابعة اليومية لمحتويات الشبكة يمكن تسجيل ملاحظات عامة بهذا الصدد:

١-إن بعض المواقع المرجعية الإسلامية يورد مع بذل جهد كبير ونفقات باهظة ما لا

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يحتاج إلى تكرار، وعلى سبيل المثال فالنص القرآني واحد، وكذلك أمهات كتب الحديث، فلا تتحقق فائدة أكبر عندما يضم كل موقع من المواقع المرجعية صفحات فرعية تابعة له للاطلاع على تلك النصوص والبحث فيها والاستفادة منها.. إنما يمكن بشيء من التعاون والتنسيق اعتماد أحدها وإضافة التحسينات عليه، ثم ربطه في المواقع الأخرى بتحويلة توصل الزائر إليه.. وهذا ما يسري عموما على المراجع وأمهات الكتب.. ونحن لا نجد مثلا عدة مواقع تضم " الانسكوبيديا البريطانية " وإنما نجد موقعا واحدا ترجع المواقع الأخرى إليه.

٢- لا تزال نسبة ربط الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث في المنطقة الإسلامية بالشبكة العالمية محدودة للغاية بالمقارنة مع ما هو في الدول الغربية، مع ملاحظة أنها في مقدمة من يمكن أن تتوفر لديهم القدرة الاختصاصية والفائدة من حيث المحتوى لإنشاء المواقع الشبكية، شريطة ألا تكون لمجرد التعريف بالجهة صاحبة الموقع، فهذا جزء كالجزء الخاص بالخدمات الإدارية فيها، وإنما الأهم من ذلك أن تصبح مقصدا للباحثين، وساحة للتواصل بينهم وبين الطلبة وسواهم.

٣- إن ربط المدارس بالشبكة من أهم الخطوات التي ما نزال نفتقدها إلا في القليل من البلدان العربية وبصورة محدودة، مع ملاحظة أن طلبة المدارس أنفسهم في مقدمة من يمكن عن طريق موقع تابع لمدرستهم، أن يفتحوا أبواب توظيف التقنية الشبكية ويمارسوه في المستقبل، كما أن إنشاء مثل هذه المواقع يساهم في تخفيف نسبة من يطلب الشبكة للترفيه فقط، وفي فتح باب الإرشاد والتوجيه الخلقي عن طريق المدرسة نفسها.

٤- ارتفع عدد المواقع الإعلامية والإخبارية باللغتين العربية والإنجليزية وبعض اللغات الوطنية الإسلامية الأخرى، ارتفاعا ملحوظا، كما ارتفع عدد المواقع الإعلامية التي يكرر بعضها بعضا من حيث جمع وسائل الإعلام في مكان واحد تسهيلا على زائر الشبكة للوصول إليها. وهو ما قد يفيد فيه التنسيق وإن كان التكرار هنا ليس مخلا كما هو الحال مع المواقع المرجعية كما سلفت الإشارة إليها

٥- نفتقد في المواقع الإسلامية حتى الآن وبصورة تلفت النظر، استخدام الشبكة لطرح ما يسمى بالقضايا المحظورة.. ولا نعني بها التمرد والمعارضة فقد وجد هذا وذاك طريقه إلى الشبكة بصورة مبالغ فيها أحيانا، ولكن نعني قضايا الحريات وحقوق الإنسان، والكشف عن واقع البلدان الإسلامية اقتصاديا وسياسيا وأمنيا وفكريا واجتماعيا، بأسلوب منهجي وعبر بحوث تساعد على إقناع المسؤولين أنفسهم بضرورة الاستفادة منها، وتساهم في تنوير الرأي العام وزيادة الضغوط الأدبية في اتجاه تقويم السياسات المتبعة على هذه الأصعدة.. ويلفت النظر أن من المواقع القليلة المتوفرة عن حقوق الإنسان، موقعين تابعين لمنظمة حقوق الإنسان العربية ولمنظمة حقوق الإنسان المصرية، وكلاهما

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يكتفي باللغة الإنجليزية، فكأنه لا يراد للزائر العربي الاطلاع على المحتوى إلا إذا أتقن الإنجليزية، هذا مع ملاحظة أن هذه الظاهرة لا تقتصر على هذين الموقعين.

٦- كما نفتقد في المواقع العربية والإسلامية ما يسمى بمواقع الخدمات، بدءا بدليل الهاتف، وانتهاء بالمعاملات مع الجهات البلدية، بينما أخذت بعض الخدمات التجارية مكانها بصورة تدريجية، ودون توفير الضوابط القانونية الضرورية لها، ويسري هذا على قطاع السياحة والسفر أكثر من سواه.

٧- وقد نشأت في الشبكة بعض المواقع الخاصة بالمرأة المسلمة، وليس على ذلك مأخذ شريطة أن تنهج بمحتوياتها النهج القرآني الذي خاطب المسلمين والمسلمات بسائر ما فيه إلا حيث كان التخصيص واضحا من النص، فلا ينبغي أن ينشأ الانطباع بأن للمرأة مواقعها.. ولا علاقة للمواقع الأخرى بها.

٨- وبالمقابل ما تزال المواقع التي تخاطب الشبيبة والناشئة والأطفال محدودة للغاية.. مع أن النسبة الأعظم من مستخدمي الشبكة هم من هذه الفئات، وأنها باتت من أنجع الوسائل للوصول إلى أفكارهم وسلوكياتهم، ليس من باب التوجيه المحض.. ولكن من باب التفاعل وتنشيط المواهب والتعرف على ما يريدون تحقيقه ويميلون إليه.

٩- وغني عن الإشارة إلى أن النقص قائم أيضا فيما يمكن وصفه بمواقع اختصاصية، في قطاعات معينة من قبيل الرياضة، والفنون، والأدب، والشعر، فما يوجد من ذلك في الشبكة العالمية دون مستوى ما يمكن أن ينشأ بعض التوجيه للمنتديات والروابط وغيرهم من الناشطين في هذه المجالات.

١٠- ولا بد في ختام هذه الملاحظات من التنويه بأمرين، الأمر الأول ميل معظم المواقع الإسلامية إلى الإسراف في الزخارف والصور، وهو ممّا يسبب عند تشغيل الموقع فترة زمنية أطول مما ينبغي، وتفقد تلك الزخارف فائدتها بعد الزيارة الأولى للموقع، كما أن لإنزال الصور تقنيات تسمح بأن توضع صغيرة لا تشغل حيزا كبيرا من الصفحة ولا تسبب الانتظار من جهة، ويمكن لمن يرغب أن يطلب الصورة فتظهر له في حجمها الأصلي إذا كان في حاجة إلى ذلك. والأمر الثاني هو ميل أصحاب المواقع الإسلامية إلى تعديل إخراجها وتغيير تبويبها وتنسيقها في فترات زمنية متقاربة، وهذا ما يسبب للمتردد باستمرار على الموقع إحساسا بالضياع عما كان يجده في مكان معين، وأصبح مضطرا للبحث عنه من جديد، فلا ينبغي التغيير إلا إذا كان توسيع محتوى الموقع من وراء ذلك، وبأقل قدر ممكن، وهو ما يعني ضرورة التحضير لإنشاء الموقع بعناية بالغة، قبل إنشائه وإنزاله على الشبكة لطالبيه.

أمثلة على مواقع إسلامية

لا تزعم هذه السطور أن كل موقع من المواقع التالية هو الأفضل والأجدر بالزيارة من سواه في ميدانه، إنّما كان الاختيار على الأسس التالية:

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

١- أن يكون الموقع في الميدان الرئيسي الذي اختير بسببه أشمل من سواه في حدود متابعة كاتب هذه السطور.

٢- أن يكون الالتزام بآداب الإسلام وأحكامه في الموقع ظاهرا للعيان، وإن كان ذلك لا ينفي وجود بعض ما يتنافى مع ذلك جزئيا.

٣- أن تكون محتويات الموقع سريعة الإنزال على الشاشة نسبيا وهو ما يعني عدم مبالغته في الزخارف والصور، ولا يسري هذا على سائر ما تم اختياره.

٤- أن يكون توزيع المواضيع الفرعية في الموقع مبسطا واضحا ييسر على الزائر الوصول إلى تلك الفروع والرجوع إلى الصفحة الرئيسية دون بحث طويل يستغرق الوقت والجهد أكثر مما ينبغي.

أولا: من المواقع المساعدة على العثور على مواقع إسلامية وسواها:

- الدليل العربي: aldleel.8m.com
- دليل شبكة ديت: www.ditnet.co.ae/arabic/sites/index.html
- آلية بحث: أين www.ayna.com

ثانيا: من المواقع الإسلامية المرجعية:

- الإسلام على الإنترنت: www.islam-online.net
- الشبكة الإسلامية: www.islamweb.net
- الصفحة الإسلامية من موقع حرف: www.al-islam.com/Esite.htm
- صفحات الشيخ يوسف القرضاوي www.qaradawi.net

ثالثا: من المواقع الشخصية ذات المحتويات الشاملة

- شبكة فايز: www.fayez.net
- شبكة فارس: www.fares.net
- شبكة عبدول: www.abdul.com

رابعا: من المواقع الإعلامية والإخبارية

- صحيفة الأهرام القاهرية: www.ahram.org.eg
- صحيفة الراية القطرية: www.raya.com
- صحيفة الشرق القطرية: www.al-sharq.com
- أخبار الكوكب العربي: www.planetarabia.com/arabic/home/default.cfm
- أخبار العرب ٢٠٠٠: www.arabic2000.com/index/news.html
- الصحافة: www.sahafa.com
- الصفحات الخاصة بجمع المواقع الإعلامية من شبكات فايز وفارس وعبدول السالفة الذكر

خامسا: مواقع إسلامية أخرى

- جامع الأزهر: www.alazhar.org/index9.htm
- وزارة الأوقاف القطرية: www.islam.gov.qa
- مركز الإعلام الفلسطيني (حماس): www.palestine-info.org/arabic.html

خاتمة.. وخواطر مبدئية:

لقد كان من أبرز معالم التطور التقني والحضاري في القرن الميلادي العشرين، أن الإنجازات لم تعد من صنع أفراد من قبيل ابن رشد ونيوتن أو ابن سينا وكوخ، بل أصبحت رهنا بمراكز للبحوث العلمية، تلتقي فيها الجهود والاختصاصات، وتخصص لها إدارة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

جماعية وتمويلات ضخمة، وتتعاون فروعها وتتكامل، وتسفر عن منجزات يكمل بعضها بعضا، فما يتم في مضمار أشعة ليزر يجد طريقه إلى الملاحة الكونية وإلى العلاج الطبي على السواء، وما يتحقق في تقنية العناصر الوراثية يجد طريقه إلى تحسين المحاصيل الزراعية والصناعات الغذائية وهكذا..

ومع تأكيد أن الاستفادة من الشبكة لا تبدأ من نقطة الصفر، وأن كثيرا من العقبات اضمحلت في هذه الأثناء، لا يستهان بضرورة بذل جهود كبرى لمتابعة الطريق قبل فوات الأوان، ولا ريب أن تقويم ما هو موجود من منطلقات وإمكانات مبدئية، وتحديد معالم صيغة شاملة لما ينبغي القيام به لتطوير استخدام الشبكة في إطار الجهود الأوسع نطاقا لتحقيق هدف النهوض الحضاري الإسلامي، يحتاج إلى مثل ذلك الجهد الجماعي المشار إليه أعلاه، فلا يبقى في هذا الموضع سوى تسجيل بعض الخواطر على ضوء ما سبق من فقرات.

إن نقطة البداية في نشوء شبكة العنكبوت.. ونقطة البداية الآن في نشأة الجيل الثاني منها، ارتكزت على ما تقوم به مجموعة من الجامعات ومراكز البحوث، ومن المفروض لأي مشروع شبكي عربي أو إسلامي، أن تتوفر له صيغة تبدأ من أرضية تعاون مشترك بين عدد من الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحوث والدراسات في المنطقة العربية والإسلامية.

إن طرح الرؤية الإسلامية المتكاملة حول موقع الشبكة من المشروع الحضاري الإسلامي، يتطلب أن يتداعى العلماء والمفكرون والمتخصصون في التقنية الشبكية، على ندوات تعقد لهذا الغرض، على أن تشمل تحديد آليات عملية للتطبيق إلى جانب الرؤية النظرية، وبما يراعي ما هو متوفر ميدانيا من إمكانات لهذا الغرض.

إن استمرار انتشار الشكوك بصدد موازين الفائدة.. والمتعة.. والضرر.. والفساد.. من خلال التعامل مع الشبكة، يتطلب القيام بحملة توعية واسعة النطاق، تأخذ الصورة المناسبة للوصول إلى العامة من المسلمين، وللتركيز على دور المربين والمعلمين والآباء والأمهات، لإزالة تلك الشكوك، وتوفير النهج الأمثل لتأمين المنفعة من التعامل مع الشبكة وتجنب الإضرار المشار إليها.

إن كل صيغة من صيغ الاستفادة من الشبكة مستقبليا تبدأ بتوفير المتأهلين من الأساتذة والمربين.. وتوفير الظروف الكافية لربط التأهيل المدرسي والمهني بالتقنية الشبكية، ومن المفروض أن تعطى الأولوية لربط المناهج والمنشأت المدرسية بالشبكة العالمية في إطار صيغة تأهيل تعنى بالجوانب التطبيقية والنظرية معا.

إن تعميم التعامل مع الشبكة بين النسبة الأكبر من عامة المسلمين، مع مراعاة الظروف القائمة سواء من حيث نقص التقنيات، أو نقص الطاقات المادية، أو انخفاض مستوى المعرفة والوعي باستخدانا الشبكة، يتطلب العمل على إنشاء مراكز على غرار ما يسمى " مقاهي الشبكة " على أن تكون الأولوية فيها

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

للجانب التأهيلي من جهة، ولتأمين الشبكة لمن لا تتوفر له الإمكانات المادية لتوفيرها منفردا.

إن اعتماد التقنية الشبكية على شبكة اتصالات هاتفية فعالة في الدرجة الأولى، يستدعي إعطاء تطوير الشبكات المتوفرة في المنطقة الإسلامية ورفع مستوى طاقاتها، قبل الخطوات التقنية الأخرى التي لا يكون لها مفعول دون قيامها على أرضية مستقرة من الشبكة الهاتفية.

ونسأل الله العفو والمغفرة، والتوفيق لما يحب ويرضى من قول وعمل في الدنيا والآخرة، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

١- من ذلك استطلاع أجراه ونشره الموقع الشبكي لآلية البحث "أين" (www.ayna.com) في نهاية عام ١٩٩٩م.

٢- مثال: تقول المصادر المتخصصة في مجلات شبكية عديدة أو في مركز بحوث الشبكة بالمانيا على سبيل المثال، إنّ الجيل الثاني من تقنية شبكة العنكبوت، الذي بدأت في آذار / مارس ١٩٩٩ م تجربته في الولايات المتحدة الأمريكية على أسلاك من الألياف الزجاجية بطول عشرة آلاف كيلو متر وبمشاركة عشرات الجامعات والمعاهد العلمية، يقوم على سرعة جديدة في نقل المعلومات يمكن تصويرها بنقل محتويات ثلاثين مجلدا ضخما خلال ثانيتين فقط وبنسبة اخطاء لا تتجاوز حرفين أو ثلاثة حروف، من أي مكان إلى أي مكان آخر .

٣- كتب عن ذلك ونشر الكثير وآخر ما اطلعت عليه ساعة كتابة هذه السطور ما نشرته مجلة الشروق الإماراتية في عددها الصادر يوم ٢٠٠٠/١/١٠م، ومن ذلك ما سبق أن نشرته مجلة " المجتمع " الكويتية في عددها الصادر يوم ١٩٩٨/٧/٢١ م.

٤- ننطلق في الرؤية الإسلامية للشبكة واستخدامها في الدرجة الأولى من موقف الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، ويمكن الاطلاع عليه عبر موقعه على الشبكة (www.qaradawi.net) وعلى جوانب من ذلمك الموقف عبر موقع "الإسلام على الإنترنيت " (www.islam-online.net). وقد كتب عن الرؤية الإسلامية وعن التعامل مع الشبكة بموجبها كثيرون، ننوه من ذلك بما نشره وينشره محمد محفوظ في باب " الإصلاح العلمي والمهني " من مجلة الإصلاح الإماراتية بشكل شبه دائم منذ أواسط التسعينات الميلادية

٥- ذاك ما " يشتهيه " أنصار بقاء المدنية الغربية الحديثة حيث وصلت إليه من هيمنة " احتكارية " أو شبه احتكارية لمقومات الوجود البشري، وعبر عنه أمثال هينينجتون وفوكوياما كاشفين بتسرّع واضح عما استنتجوه.. أو ما يأملونه عقب انهيار الشيوعية ومعسكرها في الشرق. وبالمقابل ننوه في هذا المقام بما يكتبه المفكر الفلسطيني الأستاذ أحمد صدقي الدجاني منذ أكثر من عشرة أعوام تحت عنوان " دائرتنا الحضارية المشتركة " وقد أشار إلى بعض ذلك في مقالات نشرها أواخر عام ١٩٩٩ م في زاويته الأسبوعية " عاميات وفصحى " في أعداد يوم الأربعاء من جريدة " الشرق " القطرية.كما ننوه بما نشره في الأعداد نفسها الأستاذ الدكتور عدنان محمد زرزور في زاويته " بصائر " بمناسبة مرور عشرة أعوام على نظرية " نهاية التاريخ " التي أطلقها فوكوياما.

٦- الجدير بالذكر أن " الأصوليين اليهود " وأبرزهم الجماعات المعروفة باسم "حراديم " شديدو المعارضة لكل تقني جديد، فحرّموا المذباع ثم أباحوه بعد أن استخدم بعضهم البث الإذاعي لخدمة الدعوات اليهودية، كما حرّموا التليفزيون وتراجعوا بصورة مشابهة.. والآن يحرّمون الشبكة بشدة، ليس في إطار الخوف من أضرارها الاجتماعية

واحتمال " انهيار المجتمع اليهودي بكامله بسببها " كما يقول بيان صادر عن اتحاد منظماتهم في مطلع عام ٢٠٠٠ م، بل يحرّمون حتى استخدامها لأغراض مهنية محضة، كما برز ذلك في موقف حاخامتهم في القدس المحتلة على وجه التحديد.

٧- ما شهدته التسعينات الميلادية، يعادل أضعاف ما شهده التقدم التقني في تسعين عاما سبقت، ولا يسري هذا فقط على اتساع نطاق الميادين التي تخوضها التقنيات الحديثة، بل يشمل "تسارعا" مذهلا لاتساع نطاق انتشار التطبيقات العملية لتلك التقنيات عالميا.. بما يشهد على سرعة تفاعل الإنسان معها، وبالتالي تأثره بها في مختلف ميادين حياته وسلوكياته.. ولتقريب الصورة نشير إلى أنّ انتشار الهاتف بعد اختراعه، احتاج إلى زهاء أربعين سنة ليصل إلى خمسين مليون مستخدم، ثم احتاج التلفاز إلى خمسة عشر عاما فقط، أما الشبكة فتجاوزت هذا الرقم خلال خمسة أعوام ثم بلغت خمسة أضعافه خلال خمسة أعوام تالية. وقبل عشرة أعوام كان قياس سرعة نقل المعلومات يعتمد على وحدة حسابية تقاس بألف كيلوبايت (البايت تعادل إشارة من حرف أو رقم أو رمز أو فراغ) وأضعافها.. أما الآن فتقاس سرعة انتقال المعلومات بملايين الكيلوبايت، وما تزال

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الآفاق الشبكية تتحرك حتى الآن في هذه الحدود، ولكن من المنتظر أن يتحول جميع ذلك خلال بضعة أعوام فقط إلى جزء من "تاريخ الجيل الأول من الشبكة، فالجيل الثاني يدور حول سرعة نقل المعلومات بوحدة قياس "جيجا بايت" وأضعافها، وتعني مليار وحدة كتابية في الثانية الواحدة.

٨- المصادر وفيرة عن نشأة الشبكة وتطورها.. وعلاوة على ما يتوفر عن ذلك في المواقع الشبكية نفسها، استند الوارد في الفقرات التالية على ما نشرته مجلة " شيب " المتخصصة المعروفة في ملحق مستقل (العدد الخاص الأول – عام ١٩٩٩ م).

٩- سبقت الإشارة إلى بدء تشغيل " الجيل الثاني " للشبكة بين ما يناهز مائة مركز بحوث وجامعة أمريكية، ومن المنتظر تعميم التقنية الجديدة خلال عام ٢٠٠٠ م وسارعت اليابان وألمانيا إلى الإعلان عن تقنيات أخرى منافسة، ستنزل الميدان بعد شهور معدودة على الأرجح، وتظهر خطورة التردد عن مراعاة عنصر الزمن في التحرك الحضاري المطلوب عند الإشارة إلى أن بعض ما ظهر في التسعينات الميلادية –كالقرص المدمج– تكاد تسبقه أو ستسبقه بعد أقل من عشرة أعوام الابتكارات الجديدة فعلا، وأن بعض ما يعتبره معظمنا من ضروب الخيال والأوهام، هو موضع التجارب العملية وبعضها أعطى نتائج مبدئية، مثل مخاطبة الحاسوب وتشغيله بالأفكار دون كلام مرافق لها، ولا ملامسة مباشرة للأجهزة ووصلاتها، وهو ما أمكن تحقيق خطوة أولى فيه في أيار / مايو الماضي في أحد مراكز البحوث الأمريكية، بعد تجارب استغرقت عشرة أعوام، إذ أمكن أن يكتب شخص مصاب بالشلل والبكم اسمه على الشاشة الصغيرة عن طريق التفكير بكتابة الاسم.

١٠ – انظر على سبيل المثال ما يورده موقع (www.abdul.com) في إطار اختياراته لمواقع مفضلة ومصديقة، ويشمل قائمة من مواقع الروابط الإسلامية الطلابية في الغرب ومواقع غسلامية أخرى.

١١- لا نريد تسمية أمثلة على هذه المواقع فقد بات ذلك يستدرج بعض المسلمين إليها على سبيل حب الاستطلاع على الأقل، ويمكن لمن اراد أن يبحث عنها عن طريق آليات البحث الغربية المنشأ تحت مادة " إسلام ".. وقد صدر قبل عامين تقريبا عدد تجريبي من مجلة بعنوان " الإسلام والإنترنيت " وفيه تقويم لما كان يوجد من مواقع بأسماء إسلامية ومضامين معادية، ولم يصدر عدد آخر. وقد يكون الأفضل في التعامل مع هذه الظاهرة هو إثبات المواقع الإسلامية الجيدة لوجودها في الشبكة، باللغات المختلفة، فمن يطلع على هذا وذاك.. يمكنه أن يميز بين الحق والباطل.

١٢- انظر قائمة " مواقع.. كأمثلة " في موضع لاحق من هذا الموضوع.

١٣- الأرقام الواردة في هذه الفقرة مستمدة من موقعين شبكيين يعنيان بمتابعة الإحصاءات والتقديرات للمواقع الشبكية واستخداماتها المختلفة على مستوى عالمي شامل.. وهما:

(almashriq.hiof.no/base/statistics) و

(www.nw.com)

١٤- البرنامج مفيد ويمكن الحصول عليه دون مقابل من صاحب الموقع التابع له (www.arabicwww.com)

١٥- في الاستطلاع الذي أجراه موقع (أين) وسبقت الإشارة إليه، حيث ترتفع نسبة الشبيبة إلى ٨٥ % نجد أن نسبة الإقبال على مواقع الترفيه لا تزيد على ٢٠ % على النقيض مما يشاع عن الشبيبة على سبيل التشجيع من جانب أنصار تغليب المتعة على الفائدة، أو على سبيل اللوم من جانب من لا يريد أن يتضمن الإسلام المتعة.. إلى جانب الفائدة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com